رواية
في عداد المفقودين
تأليف
محمد عصبي الغامدي

ح محمد عصبي الغامدي ، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الغامدي ، محمد عصبي
في عداد المفقودين. / محمد عصبي الغامدي .- الطائف ،
١٤٣٣هـ

١٣١ ص ؛ ..سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠١-٠٧٢١-٦

١- القصص العربية - السعودية أ.العنوان

ديوي ٨١٣,٠٣٩٥٣١ ١٤٣٣/٧٦١٤

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٧٦١٤
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠١-٠٧٢١-٦

رواية

في

عداد المفقودين

محمد عصبي الغامدي

(١)

عندما وصلت إلى الصف الثالث ثانوي كنت اكبر من في الفصل سناً فانا متعثر في الدراسة وقد أخذت في كل سنة من سنوات الثانوية العامة سنتان وليست لدي رغبة في الدراسة ولولا إلحاح والدتي لما وصلت إلى الصف الثالث ثانوي ..كنت اكره المدرسة والدراسة والتلاميذ اللذين لم استطع ان اتأقلم معهم. نظرا لفارق العمر بيني وبينهم....

كانت والدتي نورة الحمدان لم تصل سن الأربعين بعد ...وكانت جميلة.. تزوجها ابي من قرية الناصرة القريبة من قريتنا قرية الخضراء .. وكنت أنا وأختي فقط ما بقي معها ممن أنجبت من الذرّية ...فقد تزوجها والدي وهو كبير السن وهي في عمر الشباب لكنها كانت ولود فقد كانت تنجب في كل سنتين طفل تقريباً وكان موت ابي وحده الذي اراحها من الحمل والولادة...... كان والدي سعيد عاشور رحمه الله......... رجل معروف في قريتنا والقرى المجاورة وعندما تقدم لخطبتها زوجوه لكبر مقامه بالرغم من كبر سنه وقد وافقت عليه هي ايضا برضى وطيب نفس كما قالت لنا ..... لذلك لم تربطها بهذه القرية لا احاديث الصبا ولأرفقه مع بنات القرية وكأنها زهرة قد قطفت من نبتتها ثم نقلت الى من استنشق عبيرها فترة من حياتها وتركها للزمن الذي لا يرحم .....

عاشت في هذا البيت في بداية الأمر مع والدي الذي فرش لها الارض حبا وسعادة واستمرت حياتها معه اكثر من عشر سنوات لكن القدر خطفه منها في وقت كانت هي واطفالها في امس الحاجة الى وجوده معهم . وبقينا انا وأختي لولوة معها فقط بعد ان مات اخوتي الآخرين وهم في عمر الطفولة واكتفت بنا امي في حياتها.. واشتغلت بنا عن كل شيء .

... أختي لم تكن متفوّقة في الدراسة ايضاً..لكنها أكملت المرحلة الثانوية بصعوبة وبقيت مع الوالدة في البيت.....

خُطبت امي من كثير من اهل القرية بعد وفاة والدي لكنها رفضت الجميع ..... وكنت اذكر شخصاً من اهل القرية كان اذا قابلني يعطيني نقوداً ويسألني عن امي وأختي فأخبرت امي بذلك فعاتبتني وهددتني ان اخذت منه فلوساً او وقفت اتكلم معه لتتركني وتذهب الى بيت خالي ففعلت ولم اعد اقابله بل كنت اذا رأيته في مكان اتجنبه وإذا كان في طريق ذهبت من طريق آخر ..

كان أخي عثمان الذي قد تعدى الخامسة والخمسين من عمره هو المسئول عنا لكونه كبير العائلة فهو وثلاث أخوات من أم ماتت قبل زواج ابي بأمي وأنا و لولوة فقط من أمي نورة الحمدان.

كنت أنا وأمي وأختي نعيش في غرف شعبية خلف البيت الذي يسكنه أخي عثمان وأولاده وعائلته ولم يكن لنا مصدر للرزق إلا ما يتصدق به علينا أهالي القرية او ما يقدمه لنا اخي عثمان من نتاج الأرض التي لا زالت لنا جميعا او ما نحصل عليه من الضمان الاجتماعي ونعيش على قدر الحال وكما كانت تقول لنا ..مستورين .....

كانت دائما مع خلاف مع أخي ...فكانت تطالبه أن يفرز حصتنا من ارث أبينا....... لكنه كان يصر بعناد ويرفض ذلك بشدة ويقول أن ذلك غير ممكن .... محتجاً بخوفه أن نبيع حصتنا لأي مشتر من القرية ...... لإن امي ليست من قرية الخضراء ..ثم تذهب الى اهلها ......وكان يقول ذلك لكل من نرسله إليه للمطالبة بحصتنا من الأرث.. .

مات والدي ولديه كثير من الأراضي الزراعية وكان عثمان هو القائم على تلك المزارع ونحن نعيش في القرية كأننا غرباء .

كانت ابنة عمي مريم (كما يقال) مسماة لي...أي ان والدي ووالدها قد وافقا على تزويجي منها اذا كبرنا.... الا انني فوجئت ان احد شباب القرية يخطبها فقلت ذلك لإمي واخذت بيدي وذهبنا الى اخي عثمان فلم نجده ثم ذهبنا الى عمي عبد الهادي عندئذٍ مباشرةً.. .

- ياعبد الهادي يقولون ان ولد الدهاس يخطب في مريم وانت قد وافقت عليه .؟.(قالت ذلك امي).

- الزواج يا أختي قسمة ونصيب .

- لكن مريم مسماه لسعود منذ الصغر .

- هذا الكلام كان مجرد حديث عابر بيني وبين اخي يرحمه الله .

- وبعد موت اخوك نقضت عهدك ....ياويلك من الله .

- قلت لك سعود ماله نصيب عندنا .

- تخلف وعدك لأخوك بعد ما مات..وانت قد اعطيت وأخوك قبل ..هذا عهد .. انت تعرف العهد..

- سيبك من هذا الكلام.......... والبنت انخطبت .

- طيب..... انت ضيعته من خطيبته وعثمان ما اخرج حصته من ارث ابوه ...هذا حق ..... انتم تمنعون الحق.....؟. حسبنا الله ونعم الوكيل..

- انت ابليس في راسك.

- احنا نريد حق الولد هذا واخته ......وكل واحد الله يستر عليه .

- بعدين......خليني ابحث عن الحجج وأتفاهم انا وعثمان وبعدين يكون خير .

- .....هذا يتيم هو وأختـه وانت بتتعاون عليهم انت وعثمان .... حسبك الله ....قم ياسعود..

- توكلي على الله.. انا ماعندي غير الذي قلته لك...... والله يستر علينا وعليك .

خرجت انا وامي من بيت عمي وهي تدعي عليه وانا مجرد تابع في ذلك المشوار وكأنني ذهبت لكي اشهد عليها فقط .

كانت امي في الفترة التي اعقبت وفاة ابي تحاول ان تلملم جراحها في فترة وجدت كل من حولها ينظرون اليها بشيء من اللامبالاة والأهمال وحتى الكراهية ...وكأنهم كانوا ينتظرون وفاة والدي ليكشفوا لنا عن الوجه القبيح الذي كانوا يدارونه عن ابي ايام حياته...... كانت في ذلك الوقت كأنها تجتر حصرما لا تستطيع مضغه ولا بلعه ......

كان اخي وعمي ومن حولهم يريدون ان تغيب امي عن اعينهم ....وكانت زوجة عمي تخشى ان يتزوجها عمي بعد وفاة ابي وقد خطبها فعلا .... لكن امي رفضت...... الشئ الذي دعاه لأن يزوج ابنته من شخص اخر بعد وعده لابي.

كانت امي لديها امل في الحياة الكريمة وتقول لنفسها : انني سأكبر ثم احصل على وظيفة وأتزوج ثم ترتاح بعد ذلك... لكن الزمن يعاند والصبر يضيق وكأن الايام تزحف زحفا ، في هذه القرية ....فقد نكون نحن الحلقة الأضعف بين سكان القرية ..

كانت تخبيء بين اجفانها وجعها عني وعن اختي لكي لانحس بما تجده لكننا نعلم تماما انها غير سعيدة وغير مرتاحة .

كان صمتها عالم كبير من الحزن الذي لاتبـــــديه لإحد. وقلبها ممتلئ بالخوف من الآتي .. وكانت تتصور خلف الجدران افواه تريد ان تآكلنا... وقلوب كثيرة مليئة بالغيظ والكره..... لكنها كانت اقوى من الأيام ......كانت متأكدة ان الله لن يضيع اجر من احسن عملاً وأن الغلبة ستكون للحق .....وأن الباطل لن يدوم حتى وأن

طالت مدته.....وكانت ترى ان شقائي هو ردة فعل للضعف الذي وجدته عند امي... تقول امي :

عندما كنت شقيا رغم انني لا اريدك ان تؤذي احدا الا انني احس انك اصبحت رجلا وانك تستطيع ان تحمي نفسك وان تحافظ على اختك .

كان أخي من الناس المتسلطين في القرية والقرى المجاورة ويهابه كثير من أهلها بمن فيهم خالي الذي لا يريد أن يدخل معه في مشاكل بسببنا ....لذلك فقد كان ينصحنا دائما بالتروي والصبر... كل ذلك بينما كنت أنا ادرس في المرحلة الابتـــدائية ثم المتوســطة .

وكنت اكبر ويكبر كرهي لإخي ولأولاده ولزوجته وكذلك عمي وعياله ويكبر حقدي على كل شي في القرية ....لذلك كنت أتمرد عن ذهابي إلى المدرسة وكنت احمل كتبي وبدلا من الذهاب إلى المدرسة كنت اذهب أنا وبعض الطلاب إلى السوق او إلى بعض المنتزهات حتى يحين عودة الطلاب إلى المدارس ثم أعود إلى البيت بكتبي على ذراعي, وهي مربوطة برباطها الذي حزمتها به في الصباح .

كرهت كل شي وتحولت من شاب يتيم مشرد إلى شيطان يخافني أهل القرية أن افسد أبناءهم وهكذا بقيت. مصدر إزعاج لأهالي القرية فترة من الزمن..

كنت حريص على أن افسد أولاد أخي لذلك فقد كنت أحيانا اجبرهم على التخلف عن المدرسة والسهر بهم في المقاهي حتى هددني أخي بإبلاغ الشرطة وسجني إن لزم الأمر .

استويت شابا فتيا قوي البنية لكنني عاطل عن العمل وعن الدراسة وفي آخر سنة تمردت على الوالدة وأعلنت لها أنني لن اذهب إلى المدرسة .

كانت كارثة أمي كبيرة في هذا الولد الذي فشل في كل شي في الحياة إلا أنني لم آبه بذلك..... وبقيت في البيت رغم أنني أرى أمي تتصنّع البكاء أمامي لكي تستعطفني أن اذهب إلى المدرسة ..

- لن اذهب إلى المدرسة فانا ما أحب التعليم ولن أكون تلميذا بعد اليوم....

- أنت أصبحت رجلا ...وآن الأوان أن تكون مسئولا عني أنا وأختك ..

- أريد أن اشتري سيارة فكل الذين في مستوى عمري لديهم سيارات.... لابد أن اشتري سيارة ...

- اطلب أخوك عثمان فلوس يمكن يعطيك ....

- أنا اكرهه.... لقد طردني أمس من بيته ..

- اعد عليه .....ربما يعطيك أما أنا فمن أين يا حســرة ....أنت تعرف البير وغطاها .

- عندك ذهب ، نبيعه ...ونشتري لنا سيارة ثم نشتغل عليها وارد لك قيمتها .

- أنت فاشل في كل شي ...وحسبي الله ونعم الوكيل .... لكن اطلب عثمان يمكن يعطيك ...

- روحي اطلبيه أنت.... أنا ما باروح له ..

- خلاص إذا عاد من عمله فانا أكلمه ...

- لقد عاد من عمله قبل قليل ... انا رأيت سيارته عند الباب.... اذهبي واطلبيه .

والغريب ان أخي استعد أن يشتري لي سيارة ومن حسن حظي انه كتبها بأسمي واعتقد انه كان يريد أن يكتفي بها شرّي عن أولاده وعن مطالبة أمي له بحصتنا من مال أبونا ..

وفرحت بالسيارة وكنت اذهب للعمل بالسيارة ولكن بدلا من أن أعطي الوالدة ما احصل عليه من عملي بها ....اذهب بها إلى المقهى ولا اعود للبيت وباقي معي من ما تحصلت عليه إلا القليل .

بل غديت من زبائن المقهى الرسميين وكنت لا اعود إلى البيت إلا متأخراً.... وكانت والدتي لا تنام حتى أعود إلى البيت.... لذلك فقد غدت تندم على اليوم الذي ذهبت فيه إلى عثمان لتطلب منه أن يشتري لي سيارة .....أما أخي عثمان فقد ارتاح باله قليلا فقد ابتعدت عن أولاده و ذهبت بأذيتي بعيداً عن البيت .

كانت أمي رغم شقاوتي إلا أنني اشعر ان حبها لي فوق كل المقاييس انني ولدها الوحيد الذي عاشت العمر من أجله...... حنونة عليّ.... فعندما أعود من المقهى ليلا أجدها

خارج البيت تنتظرني ....ولا انسي تلك العبارة التي تقولها بنبرات حزينة (حسبي الله ونعم الوكيل ....يكفيني الله فيك)(الله لا يسامحك) ثم تدخل دون أن تقول أي كلمة عتاب بعد ذلك ....وكنت رغم شقاوتي على القرية ومن فيها إلا أنني أحب امي و لا احتمل عتبها او زعلها عليّ لذلك لا أنام حتى اذهب اقبل رأسها وكفيها وأحيانا حتى رجليها واطلبها السماح ثم اذهب أنام .

كان حبي لامي يكبر يوما بعد يوم ......مع كبر عمري ......وكل يوم أدرك كم هي المعاناة التي عانتها من اجلي أنا وأختي ......وكم صبرت على الجوع والفقر بعد موت أبي من اجلنا ... وتركت الزواج وهي لازالت شابة من اجلنا ايضاً ....وكم هي الآن حزينة بعد أن وجدتني شابا فاشلا لا يصلح لشيء....... لكنني كنت في نفسي احسب حسابات في الليل وأقيم مشاريع في الهواء للحصول على الأموال من اجل أعوّضها عن الأيام الصعبة التي عانت فيها المرّ من اجلي..... غير انني في صباح اليوم التالي أنسى كل شي وأخلد الى النوم وأحيانا ما اخرج من فراشي إلا بعد الظهر لأجدها قد أحظرت لي الفطور وجالسة تنتظرني ....وكنت اقرأ في وجهها علامات عدم الرضي وغبار العتب الذي يغطي وجهها الجميل فينقلب إلى حزن تبديه ولا تنطق به... تخفيه عن أختي وتريدني أن أقرأه في وجهها وكانت تقول أيضا :

يا ولدي لو أنت عود حطب احبك ....ولو أنت فاشـــل ..عندي أمل أن الله سـيهديك ...فأبوك رجل من اعقل الناس... وأهلي أيضا من أفضل الناس.... وأنت بذرة حلال ولن يفســـدك الله ..لكن ..هذا حظي ولا يستطيع الإنسان أن يغير حظه (....الله يهديك) .

كانت تلك الكلمات تجعلني أكثر التصاقا بها وتولد في قلبي عزيمة تهد الجبال... لكنني لا أريد العودة إلى المدرسة بأي حال من الأحوال... فأقوم إلى سيارتي و اشتغل بها ، وفي يوم من الأيام بينما كنت مع بعض الزملاء في المقهى أشار علي احدهم أن أسافر اشتغل

بسيارتي في جدة ....فهناك الشغل كثير ويمكن ان تجمع هناك في يوم واحد ما تجمعه هنا في أسبوع..... لذلك قررت السفر إلى جدة .

عدت الى امي وكانت عودتي مبكرة في تلك الليلة وأخبرتها أنني مسافر غدا إلى جدة .فانقلب البيت بكاء وعويل من أمي وأختي .

- لمن تتركنا يا ابن الحلال وتروح ، تريدنا أن نشحذ من الناس ..

- انا سوف ابحث عن عمل هناك ......ومن ثم سآتي وأخذك أنتي و لولوة ....

- انت هنا تنام إلى الظهر والذي ينام مثلك لا يصلح للعمل ...

- أنا سأعجبك بإذن الله أنتي ادعي لي وكفى .

حاولت أمي وأختي فيّ أن أغير فكرة السفر..... لكنني قد ربطت هذه الفكرة في رأسي وعزمت على السفر.

(٢)

سافرت الى جدة وأخذت اعمل بسيارتي تارة في الحراج في شارع بن لادن وتارة في سوق الصواريخ والحقيقة انني استفدت كثيرا لكنني تعبت.... وانا غير متعود على التعب والحرّ ثم انني ليس لي سكن آوي اليه انما كنت انام في سيارتي. ....وفي ذات يوم بينما كنت في حي الرويس.. وقفت أمام بقالة وترجلت من سيارتي وأخذت منها زجاجة ماء وسالت عجوز يمني يعمل فيها ..:

- إنني ابحث عن عمل .. هل تعرف احد ؟

- أنت من فين ؟

- من الجنوب .

- هنا شخص كبير يبحث عن سـائق لقد سافر السـائق الذي معه ولم يعد .. هل تشتغل سائق ....؟

- نعم بإمكاني ذلك .. كم الراتب ؟

- انا ما ادري عنه .. أنت تقابله وبعدين تتفق معه .

- لا مانع .

- اذا .....هو سوف يحضر بعد العشاء الى هنا ...اذا كنت تستطيع الحضور هنا بعد صلاة العشــــاء وتقابله وتتفق معه فأنا اقول له عليك .....

-أي والله .. الله يجزيك خير .. انا ارجع لك بعد صلاة العشاء ..

-توكل على الله ..

وخرجت من الشارع بعد ان رسـمت مكان البقـالة في ذهني حتى اعـود اليها بعد صلاة العشاء .

كان الوقت بعد صلاة الظهر وخرجت اعمل على سيارتي وعدت اليه بعد صلاة المغرب مباشرة فلم انتظر الى ما بعد العشاء...وأشعرته أنني موجود في سيارتي

واشّرت له على مكان السيارة ..لكنني أخذت امشي على رجلي في الشارع حتى استقطع الوقت ..وبعد صلاة العشاء عدت اليه فقال انه لم يحظر..... وأخذت أتردد عليه ولم يأت الرجل الا بعد الساعة العاشرة .فإذا به ينادي عليّ من أمام البقالة فأتيت اليه مسرعاً وسلمني الى رجل في الخمسينات من العمر يظهر من شكله انه من وجهاء البلد ....فاخذني في سيارته وذهب بي الى بيت كبير خلف البقالة ....عليه اسوار كبيرة وبوابة كبيرة ايضاً..... ودخل بسيارته الى الداخل.... فإذا هناك حوش كبير....... بداخله مواقف للسيارات وكذلك حدائق صغيرة.... بها ورد وأشجار......... اما باقي الارضية فهي مغطاة ببلاط ملون... متناسق الألوان.... وتحس انك في عالم من الفخامة والأبهة التي لم تعرفها عيناي من قبل ......ثم اصطحبني الى المجلس وقابلنا والده.....

كان والده ذلك العجوز الوقور الذي تحسب انه تعدى السبعين عاما.....لكنه لازال نشيطا ...ويظهر الوقار على شكله ومظهره .. نعم انه وقور وهادئ جداً.... ذا وجه سمح ....ابيض البشرة .....تزين وجهه لحية بيضاء لم يعد بها من اللون الأسود شيء.... الحيوية والنشاط لا زالت تغلب على هيكله .....يلبس نظارة وكان يقرأ في مصحف أمامه . عندما سلمنا عليه لم يرد علينا لكنه استمر في قراءته وجلس ابنه على كرسي مقابله ووقفت انا بجانبه... لم اجلس فأوما الي بيده ان اجلس فقال لي ولده :

- يقول لك اجلس... فجلست ...

وعندما أكمل قراءته لتلك السورة او الصفحة التي كان يقرأ بها أطبق مصحفه ثم رفع رأسه إلينا وقال :

- أهلا يا ولدي ..(الكلام لولده)

- لقد وجدت هذا الشاب يبحث عن عمل ولعله يبقى معك سائقا حتى يرجع إلينا الهندي .

- ثم التفت إليّ ... تعرف تسوق السيارة يا ولدي .. اسمك ايش ؟

- سعود.. اسمي سعود.

- تعرف تسوق السيارة ..؟
- أنا عندي سيارة واعرف كل شي في السيارة ..
- انا أشوف من وجه الولد انه طيب....(الكلام موجه الى ولده .) .خلاص يامازن توكل على الله اتفق معاه واخبره بكل شي .. أنت اتفقت معه على الراتب وعلى السكن وكل شيء.........؟
- لا يا أبويه .. انا قلت أشاورك وبعدين اتفق معاه ...
- انا يظهر لي ان الشاب طيب..... واهو أحسن من الغريب .. أنت من فين يا ولدي ؟
- من الجنوب قريب من بلجرشي ...
- انا اعرف كثير من منطقة الجنوب ....طيبين وناس محترمين .. توكل على الله يامازن
- طيب .. انا ابغى اعرف الراتب ...
- احنا نعطيك الف وخمسمائة .. قال ذلك مازن ...
- لا .. هذا ما يكفي ..
- مع الأكل والسكن ...
- احنا نعطيك الفين ريال وتوكل على الله (قال ذلك ابو مازن).. احنا نبغاك تكون مرتاح .
- والأكل والسكن ..
- مع الاكل والسكن .. هاه .. خليك مبسوط .. بس لازم تكون عاقل ومؤدب ومحترم وما تخرج من غرفتك إلا لما أنادي عليك ..
- الغرفة فيها تلفزيون ..
- ايوه .. تتشرط ...؟ .. قال ذلك مازن..
- يا عمي نحط لك فيها تلفزيون وما تكون إلا مبسوط .. هاه ايش قلت ..(هذا الكلام للحاج فخري)؟

- خلاص انا موافق ..
- انت عندك حاجة الليلة ؟
- لا ما عندي شي ....عندي سيارتي أمام البقالة..
- سيارتك جيبها في الحوش وأنت الليلة تنام في غرفة السواق ..
- خلاص توكلنا على الله ..

لم اعلم ان السيد مازن مدير شركة كبيرة في مدينة جدة الا بعد فترة من عملي في البيت فقد كان نهاية كل شهر يزيد خمسمائة ريال في راتبي وبعد ان وثق بي كل من في البيت اخبرني السيد مازن انه سجلني في شركتهم بوظيفة سائق بمبلغ ٢٥٠٠ ريال ثم وصلت الى ثلاثة آلاف ريال والذي عرفته فيما بعد ان والده يملك جزء كبير من هذه الشركة....والحقيقة انني ارتحت في العمل في هذا البيت....

كان الشيخ فخري محترم جداً وكنت أحبه جدا واحترمه..... وكنت أحس أيضا بمحبته لي وكان يدعوني دائما، ولدي.سعود.

بعد عودتي بسيارتي الى بيته اخذ يسألني عن اسمي وبلدي وحياتي وأنا اخبره بكل شيء.

بعد عدة ايام من عملي ذهبت معه إلى الخياط في الشارع القريب من البيت وطلب منه ان يفصل لي ثلاثة أثواب واشترى لي غترتين من النوع الجيّد ..

فرحت بها كثيراً ....كان يعاملني بكل طيب ..... نعم لقد إنساني كل شي حتى أمي وأختي وانا بعد الراحة والشبع تحسنت صورتي ولبســــــت الملابس الجديدة فكأني من أولاد العائلات الغنية فعلا .

لقد تبناني الحاج فخري بكل ما تعنيه كلمة التبني ...

كان يطلب مني ان اذهب به الى باب مكة ....وكانت سيارته جديدة ونظـــيفة وأتوماتيك ....وأنا لا اعرف لقيادة الأتوماتيك.... فطلبت منه ان اذهب به بسيارتي وقد

كانت غير نظيفة وغير مرتبة.... لكنه لم يتقزز منها او يلومني على ذلك غــير انني قد عقــدت العزم على ترتيــبها وتنظيفها .

- لم تتعود على قيادة السيارة الأتوماتيك .اليس كذلك ....؟
- نعم واخاف على السيارة .
- هي سهلة وعندما نعود سوف اشرح لك طريقتها وسوف تكون مرتاح اكثر لأنها اسهل من سيارتك هذه .

وصلت به الى باب مكه وفي وسط السوق اشار علي بالوقوف في مكان وجدنا فيه فسحة للوقوف ....ونزلنا .

ومشيت خلفه الى دكان كبير فدخل .....

كان هناك كرسي معد لجلوسه... واستقبله العاملين هناك بكل ترحاب وتقدير ، فأشار عليّ ان اجلس فجلست في مكان بطرف الدكان .

كان هناك شخص في الستينات من عمره جالس ويحاسب الزبائن .

وكان الدكان يعج بالمرتادين وهناك ثلاثه عمال يقفون معهم ويسجلون طلباتهم وظهر لي ان البيع فيه بالجملة .

كان المحل يحتوي على مفروشات ولحف واغطية وما في حكمها .

وبعد ان جلست قليلا استأذنته ان اخرج الى الســوق فانا حديث عهد بمــثل هذا السوق فوافق ......

خرجت الى السوق وأخذت امشي في سوق العلوي واستهواني النظر الى بعض الشباب اللذين رأيتهم يبيعون بضاعة خفيفة من كل ما يحتاج اليه الناس وبأسعار مناسبة... وكذلك هناك من يبيع قطع القماش.... واخرون للبخور واللبان ....واخذت اتجول في سوق العلوي نزولا ثم صعودا...كنت امتع عيني وأشبعها بمشاهدة هذه المعروضات التي لم اعرفها ايام القرية . استرعى انتباهي كثير من الشباب على

عربات ينتقلون بها من مكان الى آخر ...... وعليها اشياء ومستلزمات مختلفة... ونسيت الحاج فخري والسيارة ولم اعد اليه الا قبل صلاه الظهر .....فوجدته ينتظرني .

- اين ذهبت ياسعود .....؟
- هنا......... في الشارع.
- لو جلست هنا كان احسن لك انا ابغاك تجلس مع العمال....... تشوف الشغل..... تتعلم لك شغلة تنفعك...... بكرة اذا اعجبك الشغل نعمل لك دكان لوحدك وتستفيد .
- انت ما قلت لي .
- انا قلت يمكن تغيب بعض الوقت وتعود .
- لكنني تاخرت عليك.... اليس كذلك .؟
- لم تتاخر علي انا اجلس هنا الى الظهر .
- هذا الدكان لك .؟
- هذا من فضل ربي .الحمد الله.
- انت والله تستاهل كل خير .
- بارك الله فيك .
- وهذا الشايب اخوك .؟
- لا ....هذا شريكي .
- والعمال اللي معه .؟
- هذولا يشتغلون براتب.......اذا جئت بكرة ساعدهم وأوقف معهم ...
- ما اعرف ....خلهم يعلموني الشغل .
- بسيطة..... انا اخليهم يعلموك الشغل..... بس انت بتحمل للزبائن ......واي شي يطلبه الزبون لازم تقول حاضر ....حتى اذا طلب منك ان تفتح له بعض الفرشات مرتين وتعيدها ... .

- ويشتريها بعد ذلك .؟
- حتى لو لم يشتريها.... التجارة تبغى صبر .
- ابشر ... زي ما تقول لي اسوي .
- ولا نعطيك راتب عليها .... يعني احنا ما ننساك بس ما تتشرط علينا .
- ابداً ما اشترط عليك....... ويكفي انك معي وانني انا معك .
- توكل على الله .

وفي ذلك اليوم اخـــذني معه في سيارته واخذ يدربني على قيادتها ولم اعد استعمل سيارتي بعد ذلك ....

كنت اذهب به في الصباح الى باب مكة وأساعد العمال وأستقبل الزبائن حتى اصبحت اعرف كل شي في الدكان......اما من ناحية الأسعار فكنت اطلب من الزبون الذهاب الى عمي علوي (شريك الحاج فخري)والذي بيده تسعيرات البضاعة ومحاسبة الزبائن وقد كنت اعود اليه دائما عندما يسالني الزبون عن سعر السلعة .

وكان ينتهي عملي في المحل مع اذان الظهر واحيانا بعد الصلاة واحيانا لانعود الى البيت قبل الساعة الثانية ظهرا .

اصبحت اعرف مايريده الحاج فخري وما يكرهه واعرف حتى عندما ينظر الى شي ماء ..عن حاجته له.. فاكون اسرع الى تلبية طلباته من قبل ان يطلبها فارتاح لي كثيرا .

اما بعد الظهر.....فقد كنت اخلد في غرفتي الى مابعد صلاة العصر واحيانا اذهب به مع زوجــته ام مازن الى البحر وهناك مكان اعـــتادا الذهاب اليه .....افرش لهما المكان ثم اعــود الى السيارة او حول السيارة لكـــنني قريب منهم .

كنت اضع في السيارة صفيحة ماء..... مع بعض عبوات المياة الصحية فهم احيانا يحتاجون الى الغسيل او الوضوء وقد ادهشني كثيرا حبهم للبحر والجلوس امامه .

كنت ارى ان بينهما حب واحترام ....فما رايتهما الا وهما في سعادة وأنس ......وكنت اسمع ضحكاتهما وانا بعيد... وكنت ارى دائما انا الحاج فخري هو الذي يصب القهوة ويخرج المكسرات من الحقيبة ويحرص دائما انها تبقى متكئة مقابلة له .

شاهدني ذات يوم شارد الذهن أفكر في أمي وأختي فقال :

- ايش فيك يا ولدي يا سعود ...؟

- أريد أن أرى الوالدة وأختي..

- يعني مالهم احد هناك ..؟

...... سقطت من عيني دمعة ولم استطع أن أجاوب .(.....)..

- قول لي بالعربي مالهم احد يشرف عليهم ؟... (قال ذلك بصوت قوي)...

- لا والله .

- هي والدتك وأختك بس.....؟

- نعم .

- ايش اللي يخليهم يبقوا هناك ..؟

- فين يروحوا ؟

- يعني مافيه حاجة تربطهم هناك ؟

- لا والله .

- إيش رأيك نجيبهم في الغرفتين إلي أنت فيها وأنت صرت واحد منا وعلى كذا ترتاح .

- والله ياليت يا حاج ...أمي تعبت كثير وليس لها إلا الله ثم انا ...ثم أنني مشتاق لها كثيراً وأخذتني العبرة وأحسست بالغربة فبكيت.

- تعال يا ولدي (ثم اقترب مني واخذ يمسح راسي) قلت لك أنت زي ولدي ... يا سعود .....ما نأكل وهم جياع ولا نلبس وهم عري .....روح يا ابويه خذ سيارتنا وروح جيبهم انتم ضيوف عندنا .....انتم زكاتنا .... توكل على الله .

- لابد أن اخبر عمي مازن .

- أنا أبو مازن .. هو ما يخالف لي رأي ، روح يا ولدي ، من الصبح بكرة تأخذ سيارتك او سيارتنا وتروح تجيبهم بس ما تغرب الشمس بإذن الله إلا وأنت هنا .

- توكل على الله .

لم يكن في القرية تلفون .....إلا احد أبناء خالي في قريـــة قريبة من بالجرشي كان لديه تلفون فاتصلت به وطلبت منه أن يذهب إلى أمي ليخبرها ، أنني سأسافر بها إلى جدة غداً وعليها ان تكون جاهزة حينما اصل الى القرية .

وفعلا وصلت الى قرية الخضراء بعد صلاة الظهر واخذت امي وأختي وبعض الحاجات الخاصة بهن وعدت إلى جدة ... لم أكلّم اخي ولم اعلمه بشـــيء فأنا اراني صرت اكبر من مستواه (هكذا كنت افكر).

وجدت ان الغرفتين قد فرشت من جديد و بها تلفزيون جديدوثلاجة وجهزت بكل ما تحتاجه من أواني وغيرها...... وانزلت امي وأختي فيها ثم شغلت المكيف وقد انتقلوا في تلك اللحظة من عالم الى عالم آخر أكثر حداثة ..

وفي اليوم التالي خرجت أمي الى الحوش وأخذت تكنسه فإذا بالحاج فخري يأتي :

- السلام عليكم يا حاجة (رغم انها لم تحج بعد)

- وعليكم السلام... (لم تكن امي متحجبة بل كانت بسذاجة المرأة القروية فرفعت شيلتها لتغطي بها فمها عندما التفتت اليه . وعند ذلك انكشف اعلى صدرها فضحك الحاج فخري وعاد ادراجه .)...

- لا تتعبي نفسك.... فيه عاملات بعد العصر دائما يكنسوا .. أنتي خليك مرتاحة ......أنت ضيفتنا والضيف له حق علينا ....وخرجت انا واقنعت امي ان تترك المكنسة من يدها وتعود الى الغرفة ....وتمر الأيام .

وبعد ان استراحت امي ورطب جسمها وبشرتها وارتاحت من همها الذي كان يفزعها وشاهدت ان كل العائلة تقدرني وأنني لم اعد ذلك الشاب المشاغب وأنني اصبحت اقدر على تحمل المسؤلية .. عاد الدم إلى بشرتها وغدت مثل الوردة المتفتحة وكذلك أختي...... سيما وان أهل البيت كلهم أبدو لنا وجه الرضا بأريحية وطيب نفس وتواضع منقطع النظير .

كانت أختي لولوة في عز صباها . وكان للحاج فخري ابن في الثلاثين من عمره تقريبا لكنه أبكم أسمه إسماعيل وقد لاحظ أختي فأعجبته فنقل اعجابه بها لوالدته ، وكان مما عرفته فيما بعد انه لا يريد سواها فأتت الحاجة سميحة الى والدتي فقالت :

- يا ام سعود ولدي اسماعيل عمره يمكن يصل الثلاثين وهو كذا ابكم لكننا درّسناه وهو الآن من خير الله متوظف ونحن مبسوطين وقد اعجبته بنتك المحروسة ماشاء الله لولوة ......لكنني مترددة وخايفة لا تقولين اننا نستغل وضعكم وانتم ضيوف والضيف نحترمه ونقدره لكن اذا كانت البنت بتوافق والله اشيلها بعيوني...... واحنا ندور بيني وبينك رضا اسماعيل وهو يقول ما يبغى الا لولوة ....،فايش رايك تكلمي البنت وهذا الموضوع يزيد القرب بيننا وبحق الله يا اختي لا تجاملينا .

- انا يا اختي مدانة لكم حتى بشربة الماء وانا ارتاح عندما تكون بنتي عند ناس يحبونها ويحترمونها .....اعتبريني انا معك والله لأكلمها امامك هالحين وانت امها أيضا ....احنا ما بنحصّل لها اطيب منكم ابدا ، تعالي يا لولوة.

- السلام عليكم ثم قبلت راس الحاجة ....فقالت لها امي اجلسي..

- الحاجة تخطب فيك لابنها اسماعيل وهو ابكم لكنه متعلم وانتي تعرفي اننا ما بنحصّل زي هذولا الناس فأيش رايك ؟

- امي سميحة غالية والي تريده يسير انا ارضى بالأمر الذي يرضيها واكون بنتها اللي ماتعصاها ....واعتبريني بنتك ياحاجة... انتم اهلنا واقاربنا والناس اللي اسكنونا في قلوبهم قبل بيوتهم .توكلي على الله والي تريدينه يصير باذن الله ...

- اقول لولدي مبروك .....؟

- قولي له مبروك والوقت الذي تختارونه نحن جاهزون (....قالت ذلك امي)

- واسماعيل يريد ان يأتي اليكم بنفسه ليرى عن قرب عروسته .

- أي وقت يأتي حياه الله ..نحن ننتظره وتوكلي على الله ....

- وسعود...؟

- سعود انتم اهله وهو يحب اسماعيل واعتبري ان الموضوع منتهي ....

وعادت الحاجة سميحة الى البيت وعندما عدت من مشواري انا والحاج فخري كان كل شي قد انتهى وكانت الزغاريد من داخل البيت الكبير وكنت انا اسعد من اسماعيل ولولوة بهذا الخبر ولم يمضي اكثر من شهر حتى تزوجت لولوة وبقيت انا وامي في سكن السائق اما اختي فقد دخلت الى شقتها في البيت الكبير ..

عاد السائق القديم الذي كان يعمل لديهم بعد اربعة اشهر من سفره الى الهند وتم اسكانه في بركس صغير عند بوابة البيت وبذلك اعطاني المجال ان اتحرك خارج البيت وان يتحمل غيري مسؤلية قيادة سيارة العائلة ......

(٣)

كان الحاج فخري من اغنياء مدينة جدة فالمحل التجاري الذي اوصلته اليه في باب مكة كان شريك في تجارته بالإضافة الى عمارات مؤجرة وشقق مفروشة وكذلك اراضي وعقارات كثيرة جدا .بالأضافة الى انه يملك اغلب الأسهم في الشركة التي يديرها ابنه مازن...

في يوم من الايام طلب مني مازن ان اتولى المسؤولية في عمارة الشقق المفروشة ...(كانوا يقولون عنها فندقا) في بداية حي القويزة وان اكون امامه مسؤلا عن العمال والإيجار ومتابعة اجرآت السكان والرخص بعد ان ثبت ان العامل الموجود بها قد اختلس بعض الدخل ، فقبلت .

كانت العمارة مكونة من عشرين شقة مفروشة وفي مكان ممتاز على الشارع الموصل للمطار وأثاثها من النوع الفاخر .

تعدل الدخل في خلال ثلاثة اشهر الى ضعف المبلغ الذي كان يرد منها واطلعت الاستاذ مازن على ذلك فكانت مكافأتي كبيرة جدا .

اما امي تلك المراة القروية الجميلة....فقد عادت اليها النظارة والجمال وأعادت في ترتيب نفسها في مدينة جدة بعد ان استراح قلبها بزواج اختي وبعد ان رأتني مرتاح انا ايضا ..وتكونت بينها وبين صاحبة البيت علاقة قوية جدا..... فأمي من النساء العشريات اللاتي من السهل الحياة والعيش معها ......لذلك احبتها صاحبة البيت وطلبت منها ان تدخل الى البيت الكبير لتعيش في شقة اختي لولوة لكنها رفضت بحجة انني اعيش معها في تلك الغرفتين في حوش البيت .

وتمر الايام والسنين وتذهب السيدة سميحة في يوم من الايام الى دكتور في احدى المستشفيات لكن القدر كان يترصدها هناك وتم علاجها بطريقة خاطئة فدخلت في غيبوبة

لمدة اسبوع تقريبا وكانت والدتي هي المرافقة معها وبعد ذلك توفيت وفقدت والدتي اعز صديقة عندها وكانت تقول لي :

- هكذا الزمان بعد ان رآني مرتاحة كان لابد له ان ينكّد عليّ .
- هذا قدر الله ياامي .
- هذا الزمان دائما في وجهي .....اذا احببت شخصا اختاره الله وتركني لوحدي اين اذهب.... يارب لا تؤاخذني يارب .

وماتت الحاجة سميحة ....كبيرة البيت ....وأصبح البيت على وسعه وكبره..... تحسبه مقبرة ..وغدى كل ساكن فيه ملتزم الصمت .... وتمر الايام والشهور لكنها لم تصل الى حد ستة اشهر ...فإذا الحاج فخري يخطب في امي ....

- يا ولدي يا سعود انا كبرت وكما تعلم وحيد... ولابد لي من امراة اجلس معها وأتونس بها... ويمكن والدتك في نفس الوضع وأحنا احببناكم ...فإذا تسال لي الوالدة اذا كانت موافقة تتزوجني ونعيش مع بعض... واحنا نعرف بعض... واهي تسليني الايام الباقية من عمري وانا اونسها .
- امي .... ؟ (قلت ذلك بغرابة) .
- ايوه أمك ... انا بدي اتزوج ...واذا كان لها رغبة فأنا أخطبها منك ولا نبغى تدخل بيتنا واحدة غريبة.... وهي تعرفنا ..وهي الآن من اهل البيت .
- والله ما ادري وش اقول لك.... لكنني سوف اسألها .
- تسألها بس ؟
- اذا كانت لها رغبة في الزواج.... فهي لم تتزوج بعد وفاة ابي ......رغم رغم كثرة المتقدمين لها .
- في تلك الأيام أنت وأختك لازلتم صغار.. وتحتاجون رعاية اما الان فانتم خلاص خرجتم من نطاق الرعاية والطفولة .

- اكّـــــلّمها.
- لا .... لازم تقنعها .....انت الان زي ولدي وكلمة منك تنفع..... وانت تستطيع ....انا ما كلّمت لولوة لإنك انت الرجل وباستطاعتك انت انك تقنعها .
- والله لأعمل جهدي .
- وانا أبغاك تعمل جهدك فقط.

كلمت امي في هذا الموضوع والغريب انها وافقت بسرعة وكانت حجتها انها تريد ان تبقى قريبة من لولوة.... وفعلا تم الزواج ودخلت امي الى البيت الكبير وغدت من تلك الليلة سيدة القصر .

.... بعد ذلك غابت امي عن مكان سكني ....وبذلك غديت اتأخر عن العودة الى البيت واحيانا انام في غرفة مخصصة لي في العمارة التي اعمل بها ..

(٤)

ذات يوم ....كنت على كاونتر الاستقبال في الفندق بعد صلاة العشاء وكنت مشغول بإعداد كشف حساب لأحد النزلاء الذي يريد مغادرة الفندق ...فجأة ...واذا امرأة في عمر الزهور واقفة أمامي :

- السلام عليكم .
- وعليكم السلام(قلتها وأنا لازلت أتابع حساباتي واوراقي على جهاز الحاسب).
- لو سمحت يا أستاذ.
- نعم ......تفضلي ..
- اريد غرفة او شقة.
- حياك الله.......اين زوجك أو أخوك (ثم رفعت نظري اليها باهتمام في هذه المرّة).
- أنا وحدي فقط .
- هل لديك هوية مستقلة .؟
- لا..... لكن لدي صورة من كرت العائلة ...
- لا أستطيع .
- اريدك أن تخدمني ....انا متعبة جداً..
- لايمكن أن تسكني لوحدك..... وهذا النظام .. .. (كانت عيونها جميلة بل جميلة جدا وبقيت انظر اليها من تحت البرقع ونسيت الحساب الذي امامي ونسيت كل شئ) .
- ارجوك ... انا احتاج لغرفة انام فيها حتى الصباح على الأقل.. انني متعبة...
- لابد ان يكون معك محرم...
- زوجي مات ... واهلي بعيدين..... وانا سأعطيك الاجرة مقدما....
- عفوا ....لا استطيع...

- لابد ان انام هنا..... انت بهذا تعرضّني للضياع ....الا تفهم .....انا مقطوعة هنا ....اين تريدني ان اذهب .. انا وحدي وشنطتي..لا يوجد معي ما تخاف منه ...وأريد مكان انـــام فيه ....

- كيف تســـــتاجرين وانت بدون محرم....؟

- يا ابن الحلال .....اين تريدني ان اذهب الآن ....اذا كنت تخاف هب ان زوجي موجود ...وسجل بطاقته في دفاترك........ اما ان النظام يمنعك من ذلك فهذه لا اصدقها ...قل انك لا تريد مساعدتي فقط ....

انا لايمكنني ان اذهب الآن ابحث عن سكن آخر.. وسأبقى في هذا الكرسي الذي امامك حتى الصباح ان لم تؤجّرني شقة اسكن فيها ..... وغداً في الصباح والله لأبلغ عنك في الشرطة.......

- انني اخاف..

- انا امرأة ومن المفروض انني انا التي اخاف ...... انا امرأة شريفة احافظ على شرفي.... ولو انني دنيئة لذهبت ووقفت في طرف الشارع ....ولوجدت من يذهب بي الى أي مكان اريد....... لكنني اعرف كيف احمي نفسي.....

- من من تحمين نفسك ......؟

- أنا لا أستطيع ان أحكي لك قصتي على الكاونتر ....اعطني غرفة أرتاح فيها وأكتب العقد بأسم زوجي وهذه صورة من كرت العائلة حتى لا يلحقك مسؤولية .... لك أن أعطيك مقدم كما تريد فأنا اريد ان ارتاح فقط ولن يزورني احد .....

- هل لديك قضية.

- (كانت تكلمني بوجل وخوف لكنها تعي ما تتكلم عنه .)

اسمع يا ابن الحلال ......لا داعي للتحقيق معي .انت لست مسئول عني.. انت من واجبك ان تحافظ علي وأنا لن اسكن ببلاش..

- والله اخاف ان يكون عندك مشكلة ..

- ليس عندي أي مشكلة......انا متعبة جداً.... أريد أن ارتاح ولن اسكن ببلاش.. ارجو ان لا تخيب ظني فيك .. والله انني اتوسم في وجهك شهامة الرجال ولا يعرف الرجال الا في مثل هذه المواقف....ارجو ان تقدر ظروفي رحم الله والديك.....

......عند ذلك أحس أنها استـــثارت في نفسي شيء لا اعرفه....

- توكلي على الله ....لكن كم يوم ستبقين هنا .

– ربما يوم أو أثنين ....اوحتى يأتي أهلـــــي وربما يطول بي المقام فأنت لا خوف عليك سأدفع مثلما يدفـــع الناس اجاراً للشقة .. زد على ذلك إنني هادئة ....ولن يزورني احد..

– لكننا مطالبـــين برفع أسماء الســـاكنين كل يوم إلى الجـــهات المختصة فإذا كان عليك جريمة سوف ينكشف الأمر ســــريعا وأتورط إنا معك أيضا ...

– من ناحية جنائية لا تخاف انا لم ارتكب جـــناية لكـــنني خائفة على نفســي..... وعلى أي حال اكتب اســم ثاني في الأوراق اللي ترفعها ......هناك أمر واحد .....اذا كنت مســـتعد لمساعدتي.... وأنت تقدر فلن أنسى لك هذا الجميل ..وعندئذ سأقول لك كيف تتصرف ...وإذا كنت غير مستعد فأنت ستجد لك ألف عذر لكي تتخلص به مني ....لكنني أتوقع انك لن تخذلني ..

– لكنني سأتورط معك على اننـي آويت مجرمة ان كان لديك قضية...

– (ضحكت)...مجرمة .(كانت ضحكتها عذبة جداً) ..يا أبن الحلال انا ســــأخبرك بكل شي.... لكن دعني ارتاح وأدخلـــني شــــــقة ارتاح فيها فأنا تعبـــانة جداً... وإذا كان عندك الفضول للإستماع فأنا أخبـــرك به بعدين ....

- طيب .....هات الصورة التي عندك ...

- خذ .. لكنني اريدك ان تلخبط في الأسم او الأرقام التي بها حتى لايصل اليك احد كما تقول (وضحكت مرةً اخرى).. .

واسكنتها في شقة بجانب شقتي التي خلف المكتب وأنا خائف لكنني حسبت ان هذه المرأة سوف تسكن الى ظهر اليوم التالي ثم تنصرف....

كانت اجرة الشقة ٢٢٠ ريال في اللـــيلة ...الا انها قد دفعت خمسمائة ريال تحت الحساب...

في اليوم التالي كانت تخرج الى البقـــالة والمطاعم القريبة وتحضر معها بعض الاكلات الساخنة وأشياء كثيرة تضعها في الشقة ثم تعود... لكنها دخلت الى شقتها بعد صلاة الظهر ولم تغادر الشقة في الموعد المحدد......... فطرقت باب شقتها لأخبرها انها دخلت في حساب اليوم الثاني .

- السلام عليكم ....

-.........(عندما فتحت الباب كانت ترتدي بنطلون وقميص لكنها بهرتني بجمال وانوثة فاتنة جداً ....تلعثمت في كلامي فابتسمت فزاد ضياعي ولم ادر ما اقول ...)

- تريد ان تقول انني لم اغادر الشقة ....اليس كذلك ....؟

- نعم انت تقولين انها ليلة واحدة ...

- وما الذي يضيرك .؟.....انت لك اجار الشقة ومن ثم انا اهلي لم يحضروا بعد ...وانا سأبقى وسأنتظر اهلي يمكن اربعة او خمسة ايام .

- يا اختي ......

- لا تقول يا أختي ... انا لست أختك ... وأنت لست اخي... انا زبونة وأنت تدّور الإيجار...... اذا تحتاج دفعة أكثر سأعطيك المبلغ الذي تريد ..ثق بكلامي واجعلني صديقة على الأقل وأنا لا أريد منك شي .. انا سأتخذك صديق حتى ينتهي وضعي..

(في تلك اللحظات انا عاودتني شقاوة الصبا وصممت على ان هذه الفتاة قد ساقها الله لي من السماء ولابد ان يكون خلف وجودها هنا سرّ كبير ومغامرة وأنا احب المغامرات وسأبحث عن سرها حتى اعرف ما عندها ولن ادعها تذهب.. حتى وان جرتني هذه المغامرة لحبل المشنقة.)

- والله انتي غريبة ..

-في الدنيا كثير من الغرائب . الا تريد ان تتعرف على غرائب الدنيا .

- بلى والله أنني اريد ان اكتشف كل شي في هذه الدنيا ....

- هل قبلتني صديقة .....؟

- على راسي وعيني .

- وما اقوله لك يبقى سر بيني وبينك.

- أي والله حتى لو على قطع رقبتي ..

- وعلى ذلك عهد الله..؟

- وعلى ذلك عهد الله ...

- اذاً........ لا تسألني عن شي وانا سأخبرك بكل شي.. لكن هل أنت موظف في هذه العمارة ام هي لك ملك..

- لا ....انا موظف ....

- اذا انا اريد منك ان تساعدني في تأجير هذة الشقة بالأجر الشهري (عند ذلك تمنيت ان تبقى سنة كاملة) وانا اريد ان انهي بعض الأعمال بمساعدتك ...

- والمقابل.......؟

- عند ذلك لكل حادث حديث ..عندي فلوس كثيرة ولن ابخل عليك..

- هل زوجك مات حقيقة ..؟

- انا متزوجة ..... ولا تسألني عن شيء حتى اخبرك به ..

- لكنني فضولي ..

- ستعرف كل شيء .. لكن لا تسألني الآن .. اعطني وقت ارتاح فيه وأنت..ستعرف كل شيء......

- هل تريدين مني ان اثق بك كذا بكل بساطة .. يقال ان النساء لا امان لهن ..

- الا انا .... وسترى ذلك ... لكن بعد ان اصقى كل المواضيع التي لازالت مختلطة في راسي ... ثم ان الزمن سيعرّف بيننا...... وربما انك ستكرهني .. لقد طال الوقوف على الباب اتركني الان وغدا اذا اردت مزيدا من المعلومات فستجدها .....لكن أريدك ان تحرص على تأجيري الشقة بالشهر ...

- هذا الامر في يدي ...لكن بعد أسبوع من السكن بالأجر اليومي .

- ما عندي مشكلة ،...... أريدك ان تثق بي كما وثقت انا بك واعلم إننا اذا تفاهمنا .. سيكون كل شي بسيط وستستفيد انت كثيراً .. أما أنا فأريدك ان تعرف أنني عفيفة مؤدبة .. وستـــكشف لك الايام صدق قولي .

- توكلي على الله...

- هل تريد فلوساً إضافة الى الخمسمائة ريال التي أعطيتك البارحة....؟

- خليها بكرة.

خليها بكرة ....ياعم ...

(٥)

لم انم تلك الليلة .

* من اين جائت هذه المرأة ..؟

* لابد انها تكتنز سرا كبيرا ..

* لكنها لا يظهر عليها الهموم..او الإرتباك...

* انها جميلة .... لكنها متزوجة ...

* انها اكبر مني قليلاً ..لكنها جميلة جداً ..زد على ذلك انها ذكية ..ويظهر انها ليست امرأة سهلة .. انها تطلب مني ان اكون صديقها .

* يا عمي صديقها .. صديقها .. وبعد ذلك اعرف ايش قصتها .. وربما اني اتزوجها .

* والله ياليت ..

* اختي وأمي لا اريدهما ان تعرفا.... .

* لكن الاستاذ مازن ..؟

* لن يعرف في بداية الامر حتى اعرف سرها .. واذا رأيت ان الموضوع يستحق ان اقوله له .... وإلا فلن اقول له شي ..

* هي ساكنة بفلوسها ودخل الشقة سيصل اليه كل يوم .. وصلى الله وبارك.

* لكنها تريد الشقة بالشهر .. أي والله ...يا ليـــتها طلبتها بالسنة ....

* وأنا من واجبي ان أســتأذن في ذلك الأستاذ مازن وهو لن يمانع .

ظهر لي ان هذه الشـــقة هي المأوى الآمـــن لتلك المــرأة... فيها تخـتبي عن ما يطاردها ويزعجها ،وترى انها ستــبقى فيها الى ان تستطيع ان تكون قادرة على مواجهــة الزمان....... ارى انها ،تترك الهمــوم عند باب تلك الشــقة و تخلعها مع

نعلها وتدخل بجسد انهكه الخوف والجوع والألم .. وتترك التفكير والهواجس عند الباب ․....هكذا بدأت لي حياتها في تلك الشـــقة ......كانت تتصل بي لكي اذهب بها الى اناس لا أعرفهم وانا انتظر دائما في السيارة....وأذا عادت اعطتني مبلغاً كبيراً على انه اجار السيارة...

وذات يوم طلبت مني ان ادخل معها الشقة ․فدخلت كان الوقت ظهراً.... وكنت خائفا مرتبكا ․وجلسنا بعد ان احضرت الشاي في صمت كلاً ينظر منّا الى الآخر...... ․ دون كلام ...حتى مللنا ثم اندفعنا سويا في ضحك شبه هستيري ثم قالت ․

- احس انني اقرب منك اكثر فاكثر ․
- انا اكثر․.... لكنني اكون محتار اغلب الأوقات..
- في ماذا ..؟
- لم استطع ان افهمك ..
- تخاف ...؟
- جدا ....
- من ماذا .....؟
- لا ادري .... اعتقد انك تخفين عني امرا ًكبيرا ً..
- وانت ....ماذا يقول قلبك ...؟
- احس انك في صراع مرير مع نفسك او مع غيرك لكنك لاتريدين ان تخبريني عنه
- في داخلي وجعاً كبيراً.... يتوالد عنه احزانا كثيرة....ويجذب الى قلبي الخوف من المجهول والزمن القادم ․
- هل قتلت احدا․.؟
- لا ․․لم يصل الأمر الى هذا الحد ․

- اذا ....لماذا هذا الهمّ الذي أقراه في صفحات وجهك ٠

- لازالت افكاري مرتعاً لصراع مرير وحيرة قاسيـــــــــة لا اعرف كيف استطيع ان اخرج منها ....

(خفق قلبي وبدأت مرتبكا مبهوتا ..كانت رائحة عطرها الدافي تنبعث من ملابسها ومن الغرفة ايضا)....

كانت تفجر في راسي احلام تمتد خيوطها الى مالا نهاية......اما لساني فقد خرس تماما ....وعيناي انغرستا تتسلق في ذلك الجسم المتناسق الذي لم ارى مثله في حياتي ..فجأة التفت اليها فإذا الدموع تتساقط من عينيها .. فخنقتني العبرة وهممت ان ابكي معها ..

وبعد الشاي ودعتها وخرجت من الغرفة بعدما وعدتني ان تخبرني بكل شيء وأنها سوف تختار الوقت المناسب ونتقابل..

وفي الأسبوع التالي اتصلت بالأستاذ مازن هاتفيا وأقنعته ان لدينا عائلة تريد إيجار الشقة شهراً وانهم محترمين ...حتى استطعت ان اخذ موافقته على ان يكون اجارها في الشهر الفين ريال وبذلك كنت قد خرجت من أي لوم قد اتعرض له من قبل السيد مازن ..

كنت أستدني ذلك اللقاء الذي اوعدتني به بفارغ الصبر لا لسماع قصتها ولكن للجلوس معها ورؤيتها ... كنت احضر الى الفندق مبكرا وكنت اخشى في كل يوم انني لا اجدها..... فأسأل عنها العمال عندما اصل الى العمارة..

ذات يوم كان الوقت بعد الظهر ......كتبت لها ورقة وأرسلتها لها مع العامل وطلبت منها مقابلتي في مطعم الفندق ثم اتصلت بها من هناك وعزمتها على الغداء وسبقتها الى المطعم..الذي يقع في بدروم الفندق..

استقبلوني العاملين بالمطعم بكل حفاوة وكلاً منهم يريد ان يخدمني خدمة خاصة الا انني ذكرت ان اختي سوف تتغدى معي .....لذلك لا اريد كثرة المجئ الى الطاولة اثناء الغداء .

وصلت في موكب من الجمال ....انها رائعة وجميلة بكل ما تعنيه هذه الكلمة ...قامتها عيونها جسمها ..اعجبتني ...انعقد لساني عند قدومها لكنني بصعوبة قلت .

- اهلا وسهلا .
- شكرا لك ....هل تأخرت عليك .
- ابدا...انا لم آت الا قبل دقايق .
- لم اعتاد الجلوس في المطاعم......... لذلك اذا انا مرتبكة فاعذرني .
- بالعكس... الذي يراك وانت قادمة وحتى وصـــلتي الى هنا يقول غير ذلك .
- لقد شاهدت مثل هذا في التلفزيون كثيراً ...و انا اقلدهم ثم ضحكت..... وكانت غير منحرجة او متلعثمة..

(فقلت في نفسي هذه المرأة تختزن مشكلة كبيرة وعليّ ان اصل الى ابعد مدى يمكن ان اصل اليه في عمقها واسرار حياتها).

- ما ترين ان نتغدي ..؟
- هل تريدنا ان نتغدى..... ام تريد ان أبداء معك في قصة حياتي .
- بل الغداء اولاً..... ولعلنا نكمل الحديث في بهو الفندق او في احدى غرف الاستقبال .
- بل في البهو الرئيسي .

بعد الغداء ذهبنا الى بهو الفندق وفي احدى الزوايا جلسنا وبدأت حديثها ..فقالت :

انا كما قرأت اسمي في صورة كرت العائلة فردوس بنت كمال السعيد.. وأنا اشكرك لانك آويتني وأرحتني من البحث عن مأوى آخر.. وانا هاربة من .زملاء زوجي

وهم عصابة مخدرات ولعلهم الآن يبحثون عني في كل مكان .. انهم يريدون الفلوس التي معي ... ولن اعطيهم لو اموت ..فلك مني كل الشكر والتقدير هذا اولاً .

(وعند ذلك وقع قلبي بين اقدامي فالموضوع فيه عصابة مخدرات ... وأنا اسمع ان هؤلاء لا يقبلون في موضوع الفلوس القسمة على اثنين) ...

وثانياً .... والله يا طيب انني فتاة طيبة واني فرس اصيلة لكن الزمن غدر بي ثم ان الحياة استقبلتني منذ ولادتي بوجهها المكفهر فاعيتني البصيرة من كل جانب ...وليس لي الان الا ان اكون رجلاً ....لابد ان اكون رجلاً واحمي نفسي مهما كلفني ذلك .....لا تحسب انني خائفة او ضعيفة ....بل انا قوية ويمكن اقوى من بعض الرجال.. لذلك لم اخاف على نفسي عندما اتيت وسكنت في فندق....... فانا قد طلقت الضعف وأنا لم اهرب من بيتي حتى اعددت عدتي على ان اكون اقوى من كل الظروف.

(بدأت اخاف منها بعد ذلك الكلام القوي الذي تحدثت به)

بعد ان وصل عمري احدى عشرة سنة كنت انا وأخي الذي توفى بعد ذلك ..في بيت تسيطر عليه المشاكل بين امي وابي ...انتهى بطلاق امي ثم تزوج ابي بامرأة شابة وأنجبت منه ولدان وثلاث بنات وكنت المربية والخادمة لهم جميعا ولم يضيرني ذلك فقد كنت اقول : هي فـــــترة وأتـــــزوج وأروح عنهم ولابد من الصبر ...

- طيب وبعدين .

- كان لزوجة ابي اخ اكبر مني او في مستوى عمري الزمني يأتي الينا دائماً اسمه فريد ..وحاولت ان احتجب عنه الا ان ابي وزوجته كان يريدان غير ذلك ويقولون انه عاقل وانه من اهل البيت حتى تعودت الجلوس معه والحديث معه ....كنت قد بلغت العشرين من عمري آن ذاك..

- اكملي ..انني اسمعك ..

- استلطفت ذلك الشاب الذي دخل بيتنا ولم يعد يذهب الى اهله إلا نادرا فزوجنيه والدي تحت ضغط زوجته بدون مهر او تقول مهر قليل وبعض حلي زوجة ابي . وتزوجت دون عرس ..وكان لي رغبة في ذلك فأنا احببته..

- طيب وبعدين.....؟

- انتقلت معه الى بيت أهله مع امه وأخواته الثلاث وكان كل شي تمام وكنت احبه كثيرا رغم كل شيء.... حتى دراستي اقنعني ان اقطعها فقطعتها .....وعشنا جميعا حياة هادئة مستقرة... حتى توفت والدته وتزوج اخواته ولم يبقى سواي معه في البيت....

أما والدتي فقد تركتني وتزوجت وذهبت مع زوجها الجديد دون ان تسأل عني ....والذي عرفته انها تعيش في الدمام وانها قد أنجبت اولاد وبنات من زوجها الجديد ......وانا لا احس تجاهها باي إحساس يقربني منها .....أما زوجة أبي فلا أحبها ولا اكرهها لكنها تبقى زوجة ابي...... ..

منذ ان ماتت ام فريد (زوجي)........ تعرف فريد على عصابة مخدرات وكنت عنصر الأمان بالنسبة له........ فكان ياخذني في سيارته الى كل مكان لتوصيل البضاعة وكذلك لاستلامها من العصابة وكانت ارباحها عالية جدا لكنني كنت غير راضية عن ذلك وكلما حاولت ان امتنع عن الذهاب معه يضربني ضربا شديدا .

هربت اكثر من مرة عند ابي لكن زوجته كانت تتدخل وتقنع ابي بان يعيدني الى فريد...... وتكررت تلك الحالة أكثر من عشر مرات حتى اقتنعت انه لا جدوى من الذهاب إليهم مرة أخرى .ثم انني احببت فريد رغم كل ذلك فأنا رغم ذهابي الى بيت ابي اشتاق اليه ولا اريد ان افارقه ولكني كنت اريده ان يقلع عن العمل مع هذه العصابة ..

وتمر الأيام ويتوفى والدي ... وبدأ فريد يتعاطى الشراب وكنت ألومه وأتشاجر معه من اجل ذلك ......و كنت لا اريد ان افقده على كل حال... بعد ذلك أصبح محط ثقة عصابة المخدرات وفي ليلة من ليالي الصيف داهمتنا الشرطة وقبضت عليه ... (في تلك الليلة كنا قد استلمنا حصتنا من الفلوس .... ثمن بيع كمية كبيرة من البضاعة)..

- والفلوس ......؟
- خبأتها .. كنت اتوقع ان يخبر احداً من زائريه او يخبر الشرطة بمكانها ....
- وهل جآوا فتشوا البيت ..؟
- الشرطة عادوا الى البيت بعد ان خبأتها ونبشوا كل مافي البيت فلم يعثروا على شيء .وأعتقد انه قد اخبرهم.. وسألوني عنها فأنكرت معرفتي بذلك ..
- وأنت .... اين خبيتها ..

(...... كانت تطالعني بعينين جاحظتين ولم تجب .... فعرفت انها قد اخذها الخوف والشك من سؤالي).

- اذا لم تثقي بي فلا داعي للإجابة ..
- نعم لن اجاوب على هذا .

هذه قصتي وأنا لم ارتكب خـــيانة او جريمة ولم اقــتل ....فكن على ثقة إنني لولا خوفي من العصابة لم اخرج من بيتي.... ولو أن والدي حي أو لي اخ كبير قد يقف بجانبي ......لم آتي إليـــك ....

لكنك كنت أنت الرجل الذي ساقني الله إليك ومنذ ان رايتك توسمت فيك علامات الخير فلم يخيّب الله ظني .

ولو ان ذلك جاء بعد تردد لكنني الآن سأبقى هنا حتى تهدأ الأمور وبعد ذلك يمكن أن اخطط لحياتي التي أرى أنها ستكون صعبة وقاسية لكن الله وحده المستعان ..

- اكملي اريد ان اعرف اكثر .

- عشنا فترة من الزمن في شقة......... جزء من بيت شعبي بين العزاب في حي الروابي .هكذا كان طلب ألعصابة.

- كم كان دخلكم الشهري ..؟

- كثير جداً ....وعشنا بعد ذلك حياة طيبة لا بأس بها ..

احياناً كان يطلب مني ان أرافقه مشـــوار ثم ياخذني في الســـيارة... ونذهب لمقابلة بعض العناصر اللذين يتعامل معهم ...... قد يكـــــون المشوار قريبا وأحيـــانا إلى مناطق خارج جدة.... .

- ولعلكم استفدتم من ذلك .

- نعم استفدنا كثيرا . لكنها لم تكن حياة .. كانت خوف وترقب وانتظار للمجهول والحذر من الشرطة .... كنا خائفين طول الوقت .

- ولعل حالتكم المادية قد تحسنت .

- لا بأس ..بل تحسنت كثيرا..

- ثم ماذا .

- بدأ هو يتعاطى أنواع لا اعرفها من المسكرات وينام معي وهو فاقد الوعي وبدأ يضربني وكنت أخاف ان يقتلني .

كان يطلقني في الليلة ثم يعود يضاجعني ويضربني وأخذت على ذلك فترة من الزمن حتى شعرت انه طلقني أكثر من ثلاثين مرة وحسبت أنني لم اعد احل له شرعاً.. فالطلاق ثلاث مرات وليس عشرين اوثلاثين مرة..... زد على ذلك انه يفقد وعيه فكنت اقول لنفسي ربما ان الطلاق لا يصح اذا كان فاقد الوعي لكنه كان يضربني ضرب الأعداء ......وأنا أصبحت أخاف أن يقتلني.

كانت السعادة التي تأملتها في حياتي باهتة ....كنت قبل الزواج اعتقد اني سأنافس زميلاتي على حياة الحلم الكبير والرفاهية.... لكنني وجدت نفسي قد دخلت في سرداب مظلم.......... ماتت معه في صدري الفرحة قبل ان تولد وشعرت ان ضميري مكلوم وسأضل جريحة الى الأبد .

عندما يقبل الليل يحس كثير من الناس بالأمان إلا انا فاللـــيل موحش ...يأتي تجار المخدرات ببضائعهم الينا وكذلك المتعاطون ....وأبقى خائفة طول الليل ....فكلما قرع الباب احدهم أحس ان الشرطة قادمة معه..... لذلك لا يهدأ لي قلب الى ان تطلع شمس النهار فأحس ان النهار استراحة مؤقتة ومع الغروب تبدأ أحزاني وخوفي....وبغروب الشمس أيضا ترحل الآمال وأحلام المستقبل ...فلا يعد لي أمل أكثر من انتظار الفجر ....وهكذا ليل كئيب يتبعه نهار مغسول ملفوف بثوب الخوف .....وطالت بي أيام الألم والترقب... سكن الحزن في جوفي وبين جفوني تحول بياض عيوني الى حمرة في المقل من كثرة السهر وانتظار الكارثة... تأكدت انه لن يأتيني الفرج الا بموته او موتي انا وارتاح من الحياة ... او بالقبض علينا من قبل الشرطة هكذا مرت بي الأيام في تلك الفترة .....اوراق عمري مبعثرة انتظر امرأً مجهولاً يبحث يومه عن غده الآتي بالخوف الذي احس انه خلف الجدران او رابض على أعتاب بيتنا ...

في كل غرفة من غرف البيت كانت هناك قطعة سلاح مملوءة بالذخيرة احتياط من هجمة رجال الأمن .. كان يدربني على استعمال ذلك السلاح ويخرج بنا الى خارج المدينة للتدريب على إطــلاق النار وتعبئة الذخيرة .

- هل استعملتها عندما اتت الشرطة..؟

- لم نعلم بشيء الا وهم داخل البيت ولا ادري الى الآن كيف دخلوا وكانوا مسلحين وسريعين جدا ولم يتمكن زوجي من الوقوف في مكانه .. دخلوا البيت وهو جالس وقبضوا عليه وهو جالس.. اما انا فقد وضع احدهم يده على

فمي فكنت اظنه يريد ان يقتلني لكنه لوى يدي خلفي وأجلسني في ركن المنزل ثم قيدوني وأخذوا فريد في السيارة وتركوني وذهبوا بعد ان فكوا رباط يدي وتركوا رجلاي مقيدة ..

- الم تتجبي منه ..؟

- لا كنت استعمل حبوب منع الحمل.... ومنذ ان رأيته يتعامل مع تجار المخدرات قررت أن أكون دائما بدون أطفال..........(كانت حياتنا غير مستقرة..) .....وتابعت استعمال تلك الحبوب ومن خوفي كنت ابتلع أحيانا حبتين في اليوم .. وما أصعب ان يحس الإنسان بالغربة وهو بين الناس .. انقطعت عن زيارة أهلي وهم قطعوني كـــذلك ......كان لا يحب ان يأتي ألينا احد ....ولا نذهب نحن الى احد أيضا .

كان ذلك من متطلبات العمل الذي انخرط فيه ....لذلك وجدت نفسي غريبة ومقطوعة عن الناس ......كانت حتى النزهات والرحلات والخروج من البيت الى بعض الحدائق العامة قليلة جدا........... فهو ينـــتظر بين كل ساعة وأخرى زبون يأخذ منه او يعطيه... لذلك فالعـــــمل يحتم عليه ان نبقى دائما متواجـــدين في البـــيت اغلب الأوقات .

تداخل في نظري الليل والنهار ودخلت في حياة لازالت عيني تجتر أشباحها الى الآن ولم تفارق خيالي ..

انه الزمن الذي لم تزل مرارته عالقة بحلقي .

كانت لتلك الأيام رتابة وسأمة مع ذلك النمط من العيش وأنا مكرهة على البقاء لا لإجل شي......... الا إنني لا اجد المكان الذي اذهب اليه. ....بعد ذلك تبلد فيّ كل شيء .. لقد تلبسني اليأس ثم راقت لي حياة المغامرة التي اقحمت فيها دون رغبتي .. وكنت اغامر خوفاً عليه فلم يبق لي الا هو .. وهو لم يبق له الا انا ... فألى اين اذهب .

كانت تسرد قصتها بصوت مبحوح كصوت خرير الماء تتكلم قليل ثم تصمت وكأنها تبتلع غصّة يصعب ابتلاعها وأنا واجم في مكاني انتظرها تكمل حديثها..

كانت تنظر اليّ وأنا كنت اختلس النظرات الى كل شيء من جسمها وجهها الجميل ..كفاها عيناها.. اتمناها ان تضحك فأنا اجد ان ضحكتها لها نغمة بديعة جدا(او ربما كنت اعتقد ذلك) كانت ممتعة ولقد كان صوتها يأسرني ..... كانت رموشها الطويلة كأنها غير رموش البشر ... انها جميلة جداً ... بياض عيناها الى مالا نهاية يسكنه سواد في اللانهاية ايضاً اما نظراتها فكأنها سهام ترمي قلبي بها بلا رحمة ...... كل شيء فيها جميل....... ليست بيضاء كثيراً لكنها رباب هادئة رزينة.....ورسوم وجهها جميلة جداً..

كانت تسرد في قصتها و كأنها تعرفني منذ زمن وتنتظرني لتقول لي ما يكتنزه صدرها من آلام ..

كنت استمع لقصتها وشكواها من الزمن وأهله وكأنني سأتولى المحاماة عنها غداً امام القاضي الذي ستوكلني للترافع بدلا عنها وأنا مصغ لحديثها بكل جوارحي مندفع لأعرف كل ما يحتويه صدرها من آلام ومتاعب .. ومستعد للوقوف معها امام العالم كله بعزيمة الشباب الذي لايقف امام اندفاع الحميّة والشهامة في قلبه وفكره اي شيء......

أخذت منديل تمسح بهِ دمعة كانت تدغدغ جفنها..

اخذتني بطول الحديث لكن حديثها رغم الألم الذي تبثه اجد ان له قبول لدي ولا اريدها ان تسكت..

- ....ثم ماذا .

- كان يأتينا رجال أحيانا بعد العشاء وأحيانا في وقت متأخر من الليل وكان يطلب مني ان اعمل لهم عشاء ....بل عشاء فاخر أحيانا.... تصل إلى الذبيحة الكاملة

......كان حديثهم همس..... وأنا اعرف أنهم يتاجرون في المخدرات ....وكانوا يكسبون كثيرا .وفريد لا يخفي عني شيء......والأموال التي كان يحصل عليها زوجي كبيرة جدا ......لكنهم دائما يجلسون معه على طاولة القمار ثم يأخذونها ......ولا يذهبوا من عندنا الا وزوجي مديون .....وهكذا كنت أرى الفلوس تدخل الى بيتنا ثم تذهب دون أن نستفيد منها ...واعرف أن المال الحرام لا يدوم .

- كم مرة حصلت مثل هذه الأمور .؟.
- كثيرة جداً...
- وزوجك لا يتألم من هذا .؟.
- كانوا يوعدونه بالتعويض دائما.... لكنه تعويض لا يلبث ان يسترجعوه مرة اخرى .
- اين تعرف عليهم زوجك .؟.
- لا ادري.
- كيف عرفت انهم يتاجرون في المخدرات .؟
- قلت لك .....كنت اذهب مع زوجي في سيارته عند استلام البضاعة .
- دائماً.؟.
- اغلب الأوقات........
- تعرفين رقم لوحة سيارة احدهم او رقم تلفونه.؟
- نعم.......لقد كان يتصل بهم من جوالي ...وهم يتصلون على تلفوني ايضاً .
- هات ارقام هواتفهم او ارقام سياراتهم ...
- ليس الآن...........
- سنبلغ عنهم ويكون لنا مكافأة..
- ليس الآن .
- ثم ماذا ..؟

- لقد تركت الفلوس في مكان امين وهربت ....ان لدي من الفلوس ما يكفيني ... انه مهري الذي لم آخذه عند زواجي ... كما ان العصابة او الشرطة ستأخذ هذه الفلوس لو لم آخذها . كما ان هذه الفلوس تعتبر اتعابي معهم ....فلقد كان يصطحبني فريد معه في السيارة عندما يذهب لأستلام البضاعة وهذا الموضوع الذي تسمعه ..أرجو ان يبقى سرّ بيني وبينك الى الأبد. ... فأنا قد وثقت فيك وأرى أنك الرجل الذي يمكن ان يساعدني فأخبرتك بكل شيء.

- إنا لا اريدك ان تذكري من الآن موضوع الفلوس ولك ان تقولي انك لم تاخذي ريال واحد وأنا أتصرف بعد ذلك ..

لو تمت مسائلتك من أي احد ....فقولي للناس انك اُختطفت من قبل عصابة وأنهم سجنوك في مكان مجهول ثم أطلقوك بعد شهر تقريباً....وأنا سأتصرّف ....

وانتهى اللقاء واستأذنت للعودة الى غرفتها أما أنا فبقيت مكاني لكن كانت عيناي تتابعها حتى دخلت شقتها .... كانت عندما تمشي ترى انها تسير بخطى الفاتنة التي تفتن بكل ما في جسمها بل حتى خارج حدود جسمها في التفاتتها و في تحريك أوصال جسمها .. انها تسرق عقل من ينظر اليها .وتولد في النفوس حسرات تدمع منها العيون وترجف منها القلوب ويسيل له لعاب العاشقين........

(٦)

طلبت مني ذات يوم ان اوصلها الى بيت في اطراف مدينة جدة لسبب لم تخبرني به في بداية الأمر فأخذتها في سيارتي وخرجنا الى كيلو ١٤ على طريق مكة القديم .....اثناء سيرنا قالت :

- انت الان ستأخذني الى بيت كان يعرفهم ابي فاذا قبلوا بي ان اجلس معهم والا .....

- اذا ما قبلوا .؟

- الله يعينك انت ..

- انا فين اوديك .... انا عزابي ولا يصلح ان تسكني معي هكذا .

- كل شيء بثمنه.

- ما هو الثمن في نظرك ...... شرفك مثلاً. ..

- هذا الامر لن يكون وانا على قيد الحياة .

- فما هو الثمن الذي ستدفعيه....؟

- انا عندي مال كثير وستكون انت معي من اغنى الناس .

- انت غنيّة... لكنني لا أستطيع ان اسكن انا وأنت لوحدنا .. لا استطيع .

- اذاً... تستأجر لي شقة بأسمك وأنا اقوم بتأثيثها وأسكن فيها ولك ان تسكن معي اذا قبلت فأنا استأنس بوجودك معي ..على الأقل في الثلاثة الأشهر الأولى.

- باي صفة .؟

- بصفتك صديق..... الم نتفق اننا اصدقاء... ان لدي كثير من المال ولك ان تعيش معي حياة سعيدة جدا ....فانا اطمئن لك كثيرا.

- لكن ليس الى هذا الحد...... فانا عزابي وانت زوجك لازال على قيد الحياة ولا استطيع ان اتزوجك .... كل الابواب مغلقة امامنا الآن.

- سيجعل الله بعد عسر يسرا.

- ونعم بالله .

- اذا تستطيع ان تستأجر لي شقه وتخرج من سكنك الحالي ثم تسكن معي او تبقى انت في سكنك لكن تزورني في كل يوم وتجلس معي بعض الوقت.... ونعيش اصدقاء ان رغبت في ذلك .... اليس من الاولى ان نخرج عن الغرائز الجنسية التي تحكم الرجل بالمرأة في مجتمعنا.... ففي البلاد المتقدمة يعيش الرجل والمرأة في سكن واحد وهم زملاء وأصدقاء ....ولا تصل بهم الامور الى الاغتصاب او التعدي على الحريات الشخصية الا نادراً . ... هب انك سافرت تدرس في بريطانيا او امريكا ثم سكنت مع عائله فأنت ستحكمك قوانين ذلك البيت الذي تسكن فيه .

- ثم ماذا ....؟

- ثم نفكر سويا في امر زوجي الذي دخل السجن وربما يحكم عليه بالإعدام لتجارة المخدرات او اتطلق منه ونتزوج.

- وكم هي الفلوس اللي معك .

- كثيرة جدا .

- وكيف ستصنعين بها .

- لا ادري . اريد ان اجد من اثق به ليضعها في البنك باسمه.. وقد تكون انت من اثق به .... لكن ليس الآن ....؟

- ومن هؤلاء اللذين تريدين العيش معهم وذاهبة اليهم الآن........؟...... الا تخافين على نفسك اوفلوسك ...؟

- بلى كل الخوف........ وكأنني ذاهبة الى جهنم.

- اذا.... لا تذهبين اليهم .

- ليس عندي اذاً...... الا الخيار الثاني .

- تقصدين ....؟

- نعم انت ...

اذا دعينا نذهب الى احدى الكازينوهات على البحر لندرس الموضوع هناك بتأن وحكمة. ثم نتفاهم على كل شيء ..

- وهذا الكلام الصحيح.

وصلنا الى احدى الكازينوهات المطلة على البحر وهناك جلسنا على طاولة بعيدة في اقصى الكازينو.. كما يفعل العشاق وتقابلنا على الطاولة......... فأركت بكوعيها على ظهر الطاولة واحتضنت وجهها بين كفيها وقالت :

- عليك ان تصلح ازرار ثوبك فهو غير مزرر.

اخذت انظر الى عينها بدهشة وكأنني قد قرأت فيها اسرار كثيرة وعمق ليس له آخر .

كنت استمع الى كلامها احيانا وانا شارد الذهن افكّر في هذه المرأة فتارة اقول انني اجازف بحياتي معها وانا غير مجبر على ذلك......لكنني اقول وأردّ على نفسي في نفس اللحظة ....(ان الحياة ليست حياة اذا لم تكن المغامرة والخروج عن المألوف هو الطابع الرئيسي فيها) وهذه المرأة تدعوني للمغامرة ولن اتورع والذي يصير يصير .

كنت ارى انها لا تريد ان تطلعني على كل شيء دفعة واحدة... لذلك تركت لها حرية الاحتفاظ بما تريد ......وبقيت وكأنني ادرس الخطوط المتقاطعة في طريق المستقبل الذي سيربطني بها .... وأكثر من ذلك انني اعتقد ان هذه الخطوط لن تكون متصلة في نهاية الامر .

انغرست عيني فيها ....وكأني نزلت إلى اعماقها **.....**كنت ارى عينيها تخفيان أشياء كثيرة ..... اشياء لا افهمها ... نعم كانت عيناها مغمورتان بفيض من دمع يتدافع في العيون فتمسكه بصعوبة بين الأجفان......... وعيناها تنظر إليّ جاحظتين بالألم ...... كانت كأنها تقول كلاماً متدافعا ...متزاحماً.... الم ....نعم انه الم ..... لم

تفرغه بعد ..لم استطع أن اترجمه دفعة واحدة .... كنت اتصور مقاطع صور متداخلة وكأنها تطلب مني ان اتقدم الى العمق لإستطلاع ماتبقى من صور لم ارها وتسحبني بقوة الى ذلك...

وجدت في نبرات كلامها ما يجعلني انجذب الى المتابعة وكأنني استمع الى موسيقى حزينة تتشكل جملها الموسيقة عتاب لزوجها فريد او خوفاً عليه او حسرة لفراقه ....وهي تسترسل أمامي بلا عناء في صياغة تلك الجمل الحزينة...

لم أكن أدري إلى أين هي ذاهبة بي لكني اريد ان اذهب معها الى النهاية ..

وكنت استمع دون تركيز لما تبثه بنبرات كسيرة عن خسارتها في ما مضى من حياة التعب والمغامرة التي عاشتها ... كنت سارحاً بفكري معها.... انها الفتاة الأولى في حياتي ... لقد جعلتني أتابعها وأصغي لما تقوله وتصبه في اذني بعبارات متشابكة وخيالاتي كلها ترسم صوراً لما كنت اتخيله للزمن المثير الذي تسرد امامي احداثه ووقائعه.....

لكنني اعود الى نفسي فأخشى ان تكون هذه المرأة تختفي خلف شيء لم تقوله وأن هذه القصص مجرد خيال تريد ان تستدر به عاطفتي عليها حتى تصل عن طريقي الى ما تريد........ وأنا لا اعرف ماتريده مني الى الآن.

كانت تريد ان تفهمني في تلك الجلسة انها ذكية جدا وانها صاحبة خبرة في كل شيء..... وكنت فعلا مثل المبهور الذي ادهشه شيء ماء ....فينظر اليه لا يعرف بدايته ولا نهايته ....

فهمت من كلامها ان زوجها كان قاسي جدا وعنيد جدا لكنها تحبه ....نعم تحبه حبا شديدا ..غيرانه الان اصبح في حكم المفقود .....كانت عندما تأتي سيرته تتغير

ملامحها وأشعر انها خائفة عليه ..... كنت استغرب من ذلك ......فهذا الرجل الذي تتحدث عنه بكلام محترم هو ذلك الشاب الذي تزوجها بدون مهر........ ثم انه كان يضربها كما تقول عندما كان يعمل في تجارة المخدرات.... لذلك تداخلت الامور في مخيلتي عن هذه المرآة التي لم استطيع ان افهمها . وأستقر رأيها على انني استأجر لها شقة بأسمي او اشتري لها بيت شعبي ثم تنتقل اليه..

وفي خلال اسبوع من ذلك استأجرت لها شقة قريبة من العمارة التي نحن بها وأثثتها وانتقلت اليها .

كنت اعلم ان لديها من الفلوس المال الكثير كانت قد دفعت أجرة الشقة وأثثتها من أجمل الأثاث وأغلاه وكانت حريصة وذكية جدا . قالت لي :

- أنا لا أخاف منك بل أثق فيك كثيراً ولن تندم من صداقتي أما اذا غدرت بي فلن أرحمك أبداً.... لكن من الأفضل أن نبقى أصدقاء وسيكون في بيدك أسرار حياتي اذا وجدتك صادقا وفيّا .

- سأكون أكثر من صديق وسأخلص لك وأكـــون وفيّا حتى آخر لحظة من عمري .

- ولن تندم وستربح الكثير .

اعتبرني صديق ولست صديقة ...انا لست ضعيفة ...لم يعد لدي شئ اخسره لقد خسرت كل شئ ....

- من ناحيتي كوني في امان وســـأكون يدك اليمنى القوية التي تضربين بها الصخر فتكسره ..

- اذاً........ اتفقنا .

- انا لن اغدرك بك مادامت الحياة في عروقي .

- وانت سيكون كل شيء بيدك.

- توكلنا على الله .

- اذا هذه الغرفة لك..... وكانني من اقاربك.
- وهو كذلك.

كنت استقطع اوقات الدوام اريد ان اعود الى شقتها لكي اراها واجلس معها علمتني الثبات وأمور كثيرة كنت لا اعير لها أي اهتمام قالت لي ذات يوم :

- لقد تعلمت من العصابة العاب كثيرة ......علموني لعب البلوت والطرنيب والجوكر...كنت الجوكر بالنسبة لهم .
- هل لعبت معهم ..؟
- نعم .. كثير
- و ضد زوجك..؟.
- نعم ....وتعمدت ان يخسر .
- وكنت تجلسين معهم دون خوف .؟.
- نعم .....كان يجبرني على ذلك.وكانوا كلهم يخافون منه..
- الم تخافي على نفسك منهم .
- لم انم ليلة واحدة وانا مطمئنة..... بل كنت طول الوقت خائفة على نفسي منهم لكنني كنت اسهر معهم حتى لا يسكر زوجي ثم يختلي بي بعضهم في البيت.... وكانت السكين في جيبي طول الليل .
- كنت مستعدة ان تقتـــــلي ؟.
- نعم... لذلك قلت لك اني لا اخاف منك ولا من غيرك .

.......لقد استصغرت الموت فلم يعد يهمني ان اقتل او احداً يقتلني..... كل الأمور غدت عندي سواء ...الموت قد يكون راحة لي من عذاب عشت ايامه ولياليه .

- لكن القاتل الى جهنم .

- الا في حالة الدفاع عن النفس... انا لن اتركه يغتصبني ولن اترك أي شخص يفعلها معي .... لذا....... اما الموت واما ادافع عن نفسي... حتى لو وصل ذلك الى القتل... ومن لا يرحمني لن ارحمه.

- انت مصيبة.

- ولن اكون اقل من ذلك.

(٧)

في يوم من الأيام طلبت مني ان اذهب معها لنحضر الفلوس...كانت الساعة حوالي العاشرة ليلاً..

وصلنا الى كيلو ١٤ وهناك طلبت من ان اوقف سيارتي في مكان بين البيت وبين الجبل .. ثم اخذت تتفقد المكان من كل جهة وأتت اليّ وقالت احفر هنا .. حفرت حفرة صغيرة ثم بدت لنا اربطة الحقيبة .. انها حقيبة كبيرة..(قلت ذلك انا) ..

- اخرجها ..

اخرجتها وحملناها وعدنا الى الشقة .. ثم حملت حقيبتها ودخلت الى غرفتها وعند ذلك قالت :

- انتظرني في غرفتك ..

- سأذهب انام ..

- ليس الآن.. اريد ان نذهب الى أي مكان لكي نتعشى.

- انني لا اريد الا النوم ..

- انتظرني قليلاً ثم انت وما تريد ..

عادت بعد قليل وناولتني عشرة آلاف ريال .

-خذ هذا حقك ..

-حقي من ايش ..؟

- لا تسألني عن شيء .. هذا حقك وكفى ..

- شكراً..

-اذا كنت طيّب معي فلن تكون اطيب مني .

-وهو كذلك ..

-والآن .... الا تريد ان نحتفل بإحضار الفلوس ..

-بلى ... كما تحبين..

- اذا .. اذهب بنا الى ذلك الكازينو.. لنتعشى ..

- نفس الكازينو ..؟

- كما تريد .....و اذا اردت ان تذهب الى مكان آخر فلك ذلك ..

-لا .. بل نذهب الى ذلك الكازينو .. فهو هادي ولو ان الجلسات فيه غالية ..

-العشاء على حسابي ..

-اذا توكلي على الله ..

وبعدما وصلنا قالت ...:

هل تريد ان تعرف المزيد عن حياتي .؟

- ياليت ...

- اذاَ استمع ..

عندما سكنا في كيلو ١٤ لم يكن الشارع الذي انتقلنا اليه ذا صخب واستطراق للسيارات بل كان هادئا بكل ما يعنيه الهدوء ......

كان والدي وزوجته لا يريدونني ان اذهب اليهم .. وعند ذلك انقطع صوتها وأخذت تبكي .. ثم أكملت قائلة :

ان ابي طيب لكن زوجته كانت تريه أصناف العذاب اذا لم ينفذ رغباتها بحكم فارق السن بينها وبينه..

كان عاجزاً أمام جبروت زوجته ... هكذا كنت ارى . ..

احياناً انا وزوجي نقضي ليلتنا في ذلك المكان الذي استخرجت منه الفلوس .... نبقى صامتين لا يجالســـــنا الا الخوف من المستقبل ....

كان الامل يهرب مع كل حركة نحسّ بها حولنا........

(اخذت تبكي وكانت دموعها تسحّ دمعة بعد الأخرى.. بتتابع يغلبه الحياء لكنها لا تريد ان توقفه او تمسحه) وكأنها تريده ان يخفف من آلامها التي استجرّتها في تلك اللحظة..

احياناً . كنت افتعل سماعي وإصغائي اليها وأنا ليس كذلك. كان ذهني مفتوحاً ألى ذلك العمق الذي تريد أن تطلعني عليه ..

كنت احيانا ارى انها تفتعل عدم المبالاة بالذي يعجبني او يشد انتباهي اليها ......وتحاول ان تغير من جلستها او تعبث بأناملها او خصلات شعرها وتريدني ان اكتشف بمفردي اسرار جسمها العجيب او تفكيرها اومدى فهمها لكل شيء...

عندما كنت اسألها عن شيء لا تريد الأجابة عليه تفتعل مط شفتيها بسخرية ... احس انا في حينها انني بليد لا افهم شيء ..

كانت المرّة الأولى التي أراها بكل ذلك القرب.. دافئـــــة بالأنـــــوثة، شهيـــــة برائحة عطرها وروعتها ..

كأنما هبَّت بقلبي فجأة رائحة الحب الذي لا اعرفه من قبل ...... تعصف في أحشائي نغماً شجياً، وكلي آذان صاغية لها،

بقيتُ أتأمل استرسالها في السرد للوقائع المترابطة.. انها كتاب تحتوي صفحاته على سطور متشابكة وصور غامقة لكنني انتظر إكمال قراءته واستهواني ما خلف الصفحات من أمورها محاولا اكتشاف كل شيء.

استطعت أن أرى في تلك الفتاة وجهين وجه ظاهر جميل ووجه باطن مليء بالتدليس وأخفاء الحقائق عني .. لكنني بدأت احبها وأشتاق لها في كل لحظة ....بل انني غديت رغم كل ذلك اصدقها في كل ما تقول..

تركتني في حيرة من امري وارى انها تعمدت ذلك فبينما ارى أنها قريبة مني جدا ... أجد أنها بطريقة اللامبالاة تلك .. أجدها ابعد عني من نجوم السماء ..

.. تركت لي حرية اكتشاف مكنوناتها ببطء .. كالمبهور او غير المصدق بالشيء الذي لا يملك تفسيراً لمكنونه .. وكانت الحيرة تملا جوفي لا ادري من أين ستكون بدايتي لفهم تلك الفتاة وماذا تريده مني ..

كانت احياناً تضحك بسعادة عفوية ومن يكون في مثل الموقف الذي تعيشه فمن اين تأتي اليه السعادة ..

الصمت استمر قليلا .. وبقيتُ انظر إليها، الخوف او الإجرام .. لا ادري هناك شيئاً ما يستفزُ الدم في عروقها يعبث بكيانها ويـــــهددها بقســـــوة. متعبة .

قلت لها :

-هل تريدين ان نغير المكان ؟.

- لا .. دعنا هنا قليلاً ...... اتراني مرتبكة ... اليس كذلك ..؟.

- تقريباً ....واقول لنفسي.....(يالها من بنت جريئة؟.. تحولت خلفها كالمسحور).

...في ماذا تفكرين ....؟.

- في هذا الكازينو كل شيء حلو حتى هذه الموسيقى .... انها حلوة اليس كذلك ..؟

- نعم .. اذا كانت تعجبك ... (وعرفت انها تريد ان تخرج من الأجابة على سؤالي).

- انظر الى ذلك الشاب وكأنه مولع بسحب اكبر كمية من الدخان الى صدره .. اتراه على حق ...؟.

-ربما هو يعتقد ذلك ..

- لا اراك تدخن ..

-كنت ادخّن شيشة ثم تركتها ..

- احسن ... ان ضررها اكثر من السجائر .. هكذا كنت اسمع في التلفزيون .. وتجد اغلب المدخنين ينتابه سعال جاف اليس كذلك ..؟...

..... ثم عدنا بالحديث عن حياتها مع زوجها والمخدرات ..فقالت :

- آخذت اشغل نفسي باللإعتناء بشجيرات وورود ورياحين زرعتها في حديقة البيت الذي رأيت ..

- نعم رأيتها ... انها جميلة ..لكنها ماتت..

-. كانت هذه المزروعات المتنفس الوحيد الذي أراني أتكلم معها وأبثها همومي ... كنت اعتني بأزهارها وريحانها... كأنها تفتح لي أفقاً للتفكير في غير زوجي والمخدرات والأرق الذي ينتابني من جراء ما وجدت نفسي إنني مرغمة للعيش فيه....

احيانا يرن جرس الباب وكان ذلك عادةً ليلاً ... ينهض سريعا ثم يدخل الزائر الى المجلس ولا يخرج من عندنا بعضهم إلا قبل اذان الفجر بعد ان يكون قد انزل حمولته في بيتنا .... كنت أتثاقل الساعات والدقائق عندما يأتون ألينا لعلمي ان هذا الأمر سينكشف وربما أنني اذهب ضحيتها انا أيضا........ كان أحيانا لا يخرج من الباب إلا إذا عرف من الزائر وأحينا لا يخرج ابداً..

بعد تلك السهرة الجميلة عدنا الى السكن وكنت استعيد ببطء كل كلامها بعد ان اعود الى غرفتي وأستلقي على فراشي لا اريد النوم ان يغلبني او يقطع عني ذلك الترجيع الذي استمع اليه.. وأستعيد معه وقائع ذلك اللقاء...

(٨)

أنا مين اللي صـــــــحّاني من عـــــز النوم

وصــــــوب عيــــونك وداني من أول يـــــوم

أحسست ان هذه المرأة... قدري .....اشعر أنها قد تلبستني من راسي إلى أخمص قدمي مثلما يقال عن تلبس الجان للإنسان تلبساً لا اريد من الله ان يشفيني منه.....

أحس تجاهها بإحساس لين الملمس رغم إنني لم المسها ......وأصبحت أراها بقلبي في كل مكان اجلس فيه ..وأتصورها أمامي فأحدثها وهي غايبة..... أصبحت اسمع دقات قلبي تنادي باسمها حتى وانا أقود سيارتي في الشـــارع يجتاحني شرود ذهني وأنا جالس لوحدي...... اشتـــاق لها في كل ساعة ودقـــيقة .

بل غدت كل جارحة في جسمي تشتـــــاق لها ولنغـــمات صوتها .احس ان شئ فيّ لم افهمه ابدا ......هل هو الحب الذي يذكره العشاق والمحبين... انه الشيء الذي لم ادخل بابه من قبل ....انه حديقة السعادة والشوق والألم .....هو الحب فعلا ....انني أحبها بكل مقاييس العشاق .....انه المدى الحيوي الذي يجذبني للسير بقوة في الطريق الذي توصلني إليها...... انها المشاعر التي حولتني من مشاكس ارهب قرية الخضراء في يوم من الأيام الى حمل وديع تقـــادني بنظرة واحدة من عيونها ...لذلك قررت الإستسلام وتنفيذ كل رغباتها بدون أن اسأل أين أو كيف أو لماذا .

(احبك يالصحاري اللي ف هجيرك احترق كلي وفاءً)

كنت ابيت بعض الليالي في سكني في الفندق لكنني كنت اشتاق كثيرا لها وأذهب اتونس معها في شقتها قبل ان انام ....أصبحت هي جميلة جدا بعد ان ارتاحت في الشقة التي استأجرتها .... اجلس أمامها واشـــعر بحلاوة في الجلوس معها ..

مذهلة .....ماهي بــس قصة حســن .....رغم إن الحسن فيها بحد ذاته مشكلة مذهلة...كل شـــــيء فيها طبيعي... ومو طبيعي.. أجمل من الأخـــــيلة طيبها.. قسوة جفاها ..ضحكها..هيبة بكاها ..روحها ..حدة ذكائها ...تملأك بالأسـئلة.

الامير عبد الرحمن بن مساعد

.....غدت لا تتحرج في الجلوس معي حتى بملابسها الرثة وغدت تناقشني فيما تفكر به بكل اريحية وطمأنينة حتى بالتفكير في تشغيل فلوسها ...لكنني كنت لا املك من امري شي فأنا ليس لدي مال ....والمال مالها وهي حرة التصرف فيه....

لقد لمست من كلامها ان لديها نصف مليون ريال او اكثر وهذا المبلغ خيالي بالنسبة لي ...لكنها كانت قد اطمأنت لي مع مرور الأيام وتخبرني بكل أسرارها.....

كنت اعلم انها تريدني ان اتزوجها ..لكنها تعلم انها لم تتطلق بعد من زوجها وأن علي ان اتقدم انا لها بطلب طلاقها من زوجها او التصرف حيال هذا الأمر ... لكنها لا تريد ان تفرض نفسها عليّ..... وانا كنت متردد وخائف... ولا استطيع ان افارقها وفي نفس الوقت اخاف من الأقتراب منها كثيرا,....

(٩)

قررنا ابلاغ شرطة مكافحة المخدرات طمعاً في المكافأة التي سنحصل عليها .. كنت اعرف ضابط في مكافحة المخدرات سكن عندنا فترة من الزمن عند انتقاله الى جدة قادماً من منطقة تبوك فطلبت مقابلته وأخبرته ان لدينا معلومات حول عصابة مخدرات .. وتقابلنا اكثر من مرة الا ان فردوس كانت تريد مكافأة عند ادلائها بالمعلومات التي ستقدمها ..كانت تقول ..:

- لا يمكن ان تكون هذه المعلومات بدون ثمن فالعصابة قد يكشفون امري وأروح ضحية هذا الأمر ..
- هذا واجب وطني ومن واجبك التعاون معنا ..
- وأنت من واجبك ان تعطيني مكافأة نتيجة اسهامي في تقديم المعلومات التي تكشفهم ..
- انا لا أوعدك ... لكنني اشاور مرجعي ..
- هذا من حقك ..

وبعدما انتقلت فردوس الى شقتها بفترة سألني عنها ضابط المخدرات الذي زارها في الفندق قبل فترة ثم لم يعد الينا .....بعد ان طلبت فردوس منهم مكافأة كبيرة ....(نصف مليون ريال)..

...فأخبرته انها قد خرجت من الشقة المفروشة.......

- هي قد خرجت من عندنا ..
- اين ذهبت ......ربما نقبل بنصف المبلغ.
- لا أدري...... لقد غادرت السكن منذ يومين .
- عليك أن تجدها وسوف تكون أنت المسئول أمامنا .
- انا لا أعرف عنها شئ ....ولا ادري الى أين ذهبت .

- من غير المعقول ان تكون كذلك .
- لقد انتظرتك حتى يئست منك ..ثم أنها ليست قريبتي وأنا لست ولي أمرها .
- لماذا اتيت بي اليها اذاً .؟
- كنت أريد ان أقدم خدمة.
- لمن.... ولماذا تركتها تذهب اذاً .؟.
- لك او للوطن او لها .
- يا سيدي موافقين على شرطها لكنها لابد ان تكون في مكان نعرفه حتى لا تكون المعلومات كاذبة ..
- هذا الأمر بينكم وبينها .
- وأنت ....؟
- ما دخلي أنا.... أنا أتيت بك إليها وأنت تركتها وذهبت .
- ذهبت لأحصل على أمر ....وهذه الأمور لابد منها ....وأنت لا تعرفها .
- انا ما أدري عنك .....كان من الواجب ان تتصل بي على الأقل... وتطلب مني أنا أبقيها في العمارة .....او أن أكون متابع لها عنـد خروجها... أما الآن فقد ذهبت .
- لابد ان تدلّنــي عليها......... ولن. يكون عليها أي ضـــرر وسنعطيها المكافأة .
- لو كنت اعرف لقلت لك .
- والله انك تعرف مكانها وستكون انت الخصم في حالة عدم التعاون معنا ويجب القبض عليك .
- .. إن شئت خذني إلى السجن .
- لن تكون بعيدا من ذلك .
- وأنا بحمد الله لم يكن لي جريمة او مصيبة منذ أن عرفت الحياة .
- لكنك مراوغ ومتستر .

- على من :::؟
- على معلومات تهم امن البلد .
- لست أنا ....إنما هي فردوس وعليك أن تبحث عنها بطريقتك الخاصة .؟
- لن تنجو من العقاب وربما سأتحفظ عليك أنت أيضاً .
- وتراقبني ..
- وأنت قلتها... سوف نراقبك او تخبرنا بمكانها .
- لو كنت اعرفه لأخبرتكم .
- ....على أي حال انتظر منا أي شئ.. فلن نترك هذا الامر لإنه يهم البلد .
- هذا هو المفروض وأتمنى من الله أن يوفقكم .

كان لابد لي من الاتصال بالأستاذ مازن وقابلته وأخبرته بكامل القصة وطلب مني ان ابقى على موقفي وانه سوف يتولى حمايتي حتى تنتهي القضية وطلب مني ابلاغه بكل ما يستجد لدي من اخبار...

وبعد اسبوع من ذلك وبينما انا في استقبال الفندق فوجئت بفردوس واقفة امامي فشعرت بخوف عليها...... ومن خوفي عليها ....طلبت منها ان تذهب الى الغرفة التي كانت تسكنها وناولتها المفتاح وبعد قلـــيل لحقت بها .فقالت :

- اين انت لم تأت الى الشـــقة منذ فترة وحاولت الاتصال بك وجوالك لا يمـــكن الاتصال به .
- لقد غيرت الشريحة ومن خوفي عليـــك لم اتصل بك انهم يبـــحثون عنك وأنا أنكرت أنني اعرف مكان إقامتك وأنا اعرف ان تلفوني مراقب وأنا مراقب ايضاً وتوقعت ان يتابعوني وأنا ذاهب الى الشقة فخشيت عليك....
- لا عليك اذا طلبوا مقابلتي فانا ســـــأحضر اليهم وســـأقابلهم هنا.......وماذا قـــالوا لك ...؟

- قبلوا الشرط.....؟

- ممتاز .... سيكون لك نصف المبلغ .

- اريدك سالمة وبس ..

- اذا وقف معنا الاستاذ مازن . سأعطيه جزء من حصتي ..

- بكيفك...

- الضابط يطلب ان ترافقـــــيهم في بعض الحملات حتى يـتأكدون من صحة البلاغ .

- لا مانع لدي... أنت لا تخاف عليّ فأنا اعرف كل شئ.......لكن لا بد ان تكون معي .. هل انت مستعد للذهاب معي.....؟.

- الى آخر الدنيا .. لكنه قال ..قد تكوني في التوقيف او في مكان معروف لديهم حتى تنتهي القضية .

- لا مانع .....لا تخاف عليّ... انا لابد ان اكون معهم ولابد ان تكون معلوماتي دقيـــــقة........لكن لابد ان تكون معي ايضاً......

اتصلت بعد ذلك بالضابط واخبرته انني وجدت فردوس وأنها مستعدة لكل ما يطلبونه منها شرط ان اكون انا معها ..

حضر الينا فورا وتحولنا جميعا الى ادارة مكافحة المخدرات.. ومن هناك بدأت العمليات .. .

كنا نذهب في سيارات مدنية الى كل الأماكن التي ادلت فردوس بمعلومات حولها وتم تجنيدنا جميعاً لمدة اسبوع حتى تم القبض على العصابة .. وعدنا بعد ذلك الى الشقة ... بعد تعب اسبوع كامل لم نعرف النوم خلاله الا غفوات.. واستلمنا المكافآت بعد ذلك ..باسابيع قليلة ..

(١٠)

اشتريت من فلوس فردوس بيت شعبي في بداية حي قويزة ونقلتها اليه خوفا عليها من عصابة المخدرات فربما من ينقل لهم في داخل السجن أي معلومات تدل على من دل عليهم .. او انهم قد عرفوا بعض المعلومات التي دلت الشرطة عليهم .. لذلك قررنا ان تكون في مكان بعيد وقد ابقينا الشقة لها ايضاً..

لم يكن البــيت بعيدا عن الشارع العام كثيراً الا انه كبير.... به اربع غرف تتوسطها صالة كبيرة وبه دورتين مياة ومطبخ ويظهر انه لم يسكن منذ مدة ... لذلك كان يبدو مهجوراً..... فقلت لها .

- يظهر ان هذا البيت لم يسكن منذ فترة طويلة .
- لا عليك انا اعرف كيف انظّفه وارتبه .
- سوف احضر عمالاً يقوموا بذلك .
- لا ..... ابداً.. انا اعرف احسن منهم .
- هذا يحتاج الى عمل مضن وأنت امرأة لا تستطيعي ان تقومي بهذا بمفردك......... وانا لا اجد في نفسي القدرة على مساعدتك لانني مشغول .
- انا اعرف كما قلت لك احسن منهم .. ثم انني سوف اتسلى به..
- كما تريدين.. وأخذت تذهب اليه في كل يوم ساعة او ساعتين .. وتعمل ما يمكن ان تعمله وتعود الى الشقة ...

(١١)

طلبت من مازن ان يكتب لي ورقه توصية لإحد اقرباه في الشرطة وشرحت له موضوع الرجل الموجود لديهم في السجن وقضية تهريب المخدرات وأن زوجته تريد الطلاق منه ..

فأرسلني الى العقيد ابراهيم ابو شماغ ابن خالة الاستاذ مازن فذهبت اليه وأخبرته بقضية البنت على انها من جيراننا وان بودي ان اتزوجها وطلبت منه اخفاء الموضوع لكنه طلب مني ان تحضر المرأة التي تطلب الطلاق بنفسها اليه في الغد مع كل الأوراق الثبوتية لها ...... وأيضاً صورة من بطاقتي الشخصية على انني معرفاً لها .... وكل شيء سيكون على مسئوليتي ....كما قال انه يريد ان يقابلها ليسمع منها شخصياً ..... ووعدني خيراً ....

وفي اليوم التالي قمت بتعصيب احدى عيناها واختلقنا قصة محزنة جدا وطلبت منها ان تسردها للضابط......... وقامت هي بتمثيل المشهد الذي اتفقت معاً عليه امام الضابط ......على انها قد خطفت من بيتها مع اناس لا تعرفهم من قبل ..... ثم اعتدوا عليها واخذت تبكي امامه بكاء الثكالى حتى رأيناه قد صدق الأمر....... فطلب منا كتابة استدعاء بطلب الطلاق وتوقيعه من رئيس القسم ....ثم طلب مني ان اتصل به في الغد لتذكيره بالموضوع لكي يطلبه من السجن ..ثم يعرف الموضوع من زوجها نفسه ثم يقرر بعد ذلك ..

استدعى العقيد ابراهيم السيد فريد (زوج فردوس) من السجن وطلب من معاونيه ان يبقى في غرفة بمفرده ولا يدخل عليه احد.......... وبقي كذلك لمدة ثلاث ساعات تقريباً ثم استدعاه في مكتبه وبدأ مسائلته .

- زوجتك جآتني تطلب موعد لمقابلتك في المحكمة وتريد الطلاق..

- اين هي ..؟

- كانت هنا بالأمس....... تقول انها اختطفت من البيت .. من اناس لا تعرفهم وذهبوا بها في احدى الشقق المفروشة وكانت في وضع صعب جداً..

- كيف جائت الى هنا ..؟

- ما ادري عنها ... هي جائت وأدخلها العسكري . تقول انها كانت مع شباب في شقة في البلد ...هي الى الآن زوجتك .؟..

- لا انا طلقتها .

- فين ورقة الطلاق ؟

- ماعندي ورقة طلاق .

- كيف طلقتها اذا .؟.

- كذا طلقتها .

- ذهبت الى المحكمة وطلقتها .؟

- لا ابداً .

- ....انا رأيي ان تتخلص منها فالوضع الذي هي فيه... مزري جداً ولا يمكن ان يتقبله أي شخص... حتى البهائم لا تقبله .

- انا اليوم اروح واطلقها من المحكمة لكنها سرقت فلوسي .

- هي مسروقة المسكينة في نفسها وفي شرفها .. الله لا يوريك ..... فيها حالة تصعب على الكافر ... ما معها حتى خاتم ....يمكن لو شفتها ما تعرفها ....ضربوها في عينها حتى فقدت البصر ولم تعد ترى الا بعين واحدة.. اقول لك ....حالتها مزرية.. وانت لو شفتها ماعاد تقبلها..

- هي فين......................... ابغى اسألها على الأقل ...

- تقول انهم دخلوا عليها في البيت اربعة اخذوا كل مافي البيت ثم اخذوها في السيارة وذهبوا بها الى شقة مفروشة وبقيت معهم اكثر من شهر ويظهر الآن انها حامل.....

- والحل ...؟

- الحل ....ان تروح للمحكمة الآن وتسوي لها ورقة طلاق وتخـــلص من الموضوع كله .

- وفلوسي .؟

- أقول لك المرأة انتهت حياتها ...وتقول لي فلوسك ..قوم اطلع برا .

- خلاص ..يا أخي انا اروح المحكمة الان وأطلقها وأجيب لك ورقة الطلاق .

- انا أعطيك ورقة لشخص هناك علشان تنتهي بسرعة .

- بأذن الله....... واهلها يعرفون ذلك .....؟.

- لا احد يدري الآن..... أنت تعرف مكان سكنهم .؟.

- نعم .

- اكتب لي العنوان والتلفون ونحن نستدعيهم بدون ما يكون لك انت أي ذنب في الموضوع ...خل كل شي يتم من قبلنا ونحن نتصرف... لكن ان فتحت فمك بكلمة واحدة واعتدى عليها احد فأنت المسئول والله لتضاف جريمة اخرى على ظهرك ......

- توكل على الله لن اتكلم بهذا الموضوع حتى مع نفسي .

- اذا اذهب الى المحكمة واحضر صك الطلاق وتعال .

- وهو كذلك .

- لم يمض على هذا الأمر اكثر من اسبوع حتى استدعاني العقيد ابراهيم وسلمني وثيقة طلاق فردوس ..

(١٢)

كان اخي عثمان يشتغل في وزارة الزراعة ....وكانت اغلب بلادنا تسقى بماء الآبار واستغلها اخي لزراعة الخضار... فكان بها عدد من البيوت المحمية..... ولديه عمال يقومون بحرثها وسقيها وجني محاصيلها ويقوم هو واولاده ببيع انتاجها ....وكان يطلب مني ان اساعده في ذلك عندما كنت في القرية الا انني ارفض بحكم انني ارى نفسي منهوبا ومظلوم..... وانه استولى على كل شي ولم يعزل نصيبي من مال ابي وورثي منه ......وقد يكون على حق في ذلك الوقت..... فقد كنت اعرف رجل من القرية يطلب مني ان اعزل نصيبي ثم يشتريه مني بمبالغ مالية لم اكن احلم بجزء يسير منها .... كما ان اغلب الخطّاب اللذين كانوا يخطبون الوالدة ربما كان هدفهم ارثنا من ارض والدي .....وبناء على ذلك استعديت اخي و أولاده وكرهتهم واخذت أناصبهم العداء دون وجه حق...... ولم اعرف لاخي حقة الا اخيراً ..

وعندما استقر بي المقام في جدة بدات اعيد حساباتي من جديد ...... وجدت انني انا الذي كنت الجاني عليه في كل الأحوال .....ومنذ ان سافرت من القرية لم اتصل بأخي وقد مضى عليّ الان قرابة العشر سنوات وأخي لايعرف مني مكالمة واحدة ...وكنت ارى ان والدتي لا تشجعني على ان تكون علاقتي بأخي على الوجه الأكمل............. فطاوعتها ولكن كان هناك داع في داخلي يدعوني الى الاتصال بأخي او زيارته فقد اشتقت اليه.....

كنت في خلال هذه الفترة لم اقابل احدا من اهل القرية ولم اسافر اليها ولم اسأل حتى عن اخوالي الذي كانت علاقتي معهم خلال وجودي في القرية لا باس بها........ وبقيت متردد كثيرا.... لذلك اجلت الموضوع الى المستقبل فلازال في النفس شي لا افهمه ولعل ذلك . متبقي من ايام الصبا فتركت للزمن معالجته...

(١٣)

ذات يوم قال لي السيد مازن .

- اريد ان ارى هذه المرأة التي تحدثني عنها كثيراً...

- ماذا تريد منها .

- اريد ان اراها .

- هي لا تريد ان تقابل احدا.

كنت مدركا ان السيد مازن اذا وصل اليها سيأخذها مني فهي جميله جدا ويطمع فيها كل من يراها وتحت الحاح منه كلمتها في الموضوع فوافقت .

لكنها اشترطت ان تكون المقابلة في حضوري وفي صاله استقبال الفندق والتقينا جميعا في صالة الاستقبال. ..

- اقدم لك الاســـتاذ مازن مالك العمارة وصاحب الفضل علي في كل شيء .

- تشرفنا .

- اشار الى السيد مازن ان اذهب واتركهما ففعلت....... لكنني كنت اراقبها من بعيد وأنا اصفق كفا بكف..... واعلم في ذلك الوقت انها قد ضاعت او سرقت مني . وطال الجلوس وأنا بين كل دقائق معدودة اطلّ عليهما من طرف الصالة ......وقد رايت ان الجلسة بينهما قد طابت......فأداري نفسي والطم في وجهي ......فانا الذي ترددت في موضوع الزواج وهي الان قد ذهبت مني الى غير رجعة .... كنت اعلم ان السيد مازن لن يدع تلك الفرصة تذهب ....فصدق ظني .

وفي نهاية الجلسة اراد السيد مازن ان يقطع الطريق عليّ وان يشعرني بانهما اتفقا على الزواج ......حتى لا استطيع ان اغير في الموضوع شي ....وان يضعني في واجهة الامر ....وأن كل شيء قد انتهي فقال :

- بصفتك ولي امر الست فردوس فانا اطلب يدها منك على ســــنة الله ورســــوله ....وستبقى الاخ لي ولها.... وأنت الان تعرف حقيقتي وتعرف وضعي ....وانا اريد ان اعيش من عمري اياماً سعيدة وهنيئة....... بعيدا عن البيت وام الاولاد وانت ستكون حلقة الوصل بيني وبينها .....ولك ان ترتّب مع فردوس كل ما تحتاجه في شقتها وسيظل العقد باسمك وكل شي سيبقى على ترتيبه الاول .
- موافقه يافردوس .(قلت ذلك انا)..
- ....نظرت الي وأطالت النظر...... هذا الامر يرجع لك فأنت ولي امري وكأنها تقول. ..... (اذا انت لا تريدني فاذهب بي الى حيث تشاء ....فأنا لم يعد يهمني شي ولم يعد لي امل في شي) .
- اذا كـــنت موافقة انا موافــق والأخ مازن من افضل الناس ديـــنا وخلقاً ومعاملة .
- اذا كنت ترى ذلك ......توكل على الله .....وكانت تريد دائما ان يكون البدء من طرفي.....او تريد ان تحملني مسئولية ضياعها مني...... قبل مسؤلية زواجها من مازن .

بعد ذلك دخلتني الوحشة وأظلمت الدنيا في عيني لكنني حسبت انها رغبتها وكذلك أنا لا استطيع ان اقف في طريق رغبة مازن وربما انها فضلته عليّ ......

كنت اتردد على الشقة بشغف وكانت تنتظر قدومي في كل لحظة فحسبت انها تجد في نفسها ما اجده في نفسي ....احيانا اجدها بكامل زينتها...... وتارة اجدها في قميص عادي والحقيقة.... انني اجد الخجل منها كثيراً .....ويختفي الحب الذي يكاد ان يثور بداخلي ويحبسني خجلي في داخل جلدي...نعم انني اجدني مكبلا بأحاسيس شتى الحب الذي يعصر قلبي والخوف من القطيعة وشعوري بضياعها مني ... اشعر انني قصرّت معها وغديت اخجل من نفسي وحتى من اطالة النظر اليها ...

بعد خطبتها من السيد مازن اصبحت تريدني ان اخرج بها في كل يوم .....وكأن الدنيا ضاقت عليها .....ووافق ذلك هوى في نفسي .

وكنت دائما ادفع الحساب في الكازينوهات والملاهي حتى اوشكت على الافلاس لكنني لم ابين لها ذلك حتى سألتني .

- لماذا تصرف عليّ ؟

- لا ادري ... اجد انني مسئول عنك .

- الى متى ..؟

- اجد انني مرتاح بهذا .

- غدا ستذهب الى البنك وتضع جزء من المبلغ الذي معي في البنك بإسمك.

- باي صفة تكون بأسمي .؟

- منها ٥٠ الف ريال لك انت ، والباقي تحفظه لي حتى احتاجه ..

- لماذا ٥٠ ريال الف لي انا .؟

- انت من وقت ماعرفتك ....وأنت تدفع وتحاسب عني في كل مكان .....فلعلني لا اكون عبئا عليك ...ونحن اصدقاء مثلما اتفقنا ولعلنا نتساعد .

- انا لن اخذ من فلوسك شئ .

- اذاً..... انت تريد التخلص مني .

- ابدا . انا بذلك سعيد جدا .

- اذاً اسمع ما اقوله لك.. ولا تتحرّج من موضوع الفلوس..... فأين اذهب بها .

- احفظيها للزمان القادم ......فلعلك لا تجدينه كما تتمنين ...

- يا عمي الرزق على الله .

وفي اليوم التالي اعطتني مبلغ ٤٥٠٠٠٠ ريال وطلبت مني فتح حساب باسمي في البنك وإيداع المبلغ وكذلك ٥٠ الف ريال لي انا....وكنت اعلم ان باقي عندها تقريبا مثل هذا المبلغ او اكثر .

وبعد ان عدت من البنك وجدتها في غرفتها ...ورغم معرفتها بعودتي من البنك الا انها بقيت في غرفتها فترة.... وانا انتظر في الصالة من اجل تسليمها ايصال الايداع الذي احضرته من البنك ....تأخرت كثيراً ....فتحت جهاز التلفزيون وبقيت اتابع احدى المسلسلات التي كانت تعرض .....لم تخرج ...... كدت ان اناديها من خلف الباب لكنني حسبت انها نائمة فتركتها ودخلت الى غرفتي وأقفلت جهاز التلفزيون..... لكنني بعد ذلك سمعت حركتها في البيت فخرجت الى الصالة .

كانت في المطبخ فلحقت بها وسلمتها الإيصال ثم قالت :

- اجلس في الصالة حتى اجيب الشاي .
- كنت احسبك نائمة في الغرفة .
- لم انم .... انما كنت افكر .
- في ماذا تفكرين ...
- اجلس في الصالة..... وأنا الحق بك .
- لم اذهب للفندق بعد .
- اريد ان اتناقش معك .

فخرجت الى الصالة ولم تتأخر كثيراً ثم اتت بإبريق الشاي وجلست ثم سكبت لي كوباً واخذت كوباً اخر ثم قالت :

- ما رأيك في كلام مازن .
- ارى انه مناسب جدا .
- كانت نفسي متعلقة بشخص آخر لكن ....

- تقصدين...
- نعم كنت انتظر هذه الخطوة منك انت.
- لقد سبقني اليك وهذا قدري.
- لماذا لا تقنعه انك تريدني انت ؟ (قالتها بصوت مرتفع وأنفعال شديد)
- كنت احسب انه سيسعدك اكثر ... لقد احبك وهو على كل حال انسب لك مني.... فانا مجرد موظف عنده وستبقين صديقتي .
- نعم صديقتك فقط (انني آسفة انني رفعت صوتي) .... لكنني احب ان ابقى معك وعلى أي حال ستبقى ذلك الشخص الذي احترمه واقدره وافتخر ان اكون صديقته.
- ولك مني انني لن اتخلى عنك في يوم من الايام مهما حصل .
- اذا ابلغ صاحبك بانني موافقة لكنه لا يستعجل فلابد ان ارتب نفسي

وأخبرت مازن بذلك فوافق .....(كان ذلك بعد شهر رمضان..)

(١٤)

بعد ذلك وبينما كنت مع مازن ذات ليلة في الفندق قال لي :

-انا سمعت ان فيه تسجيل في دورات في الدفاع المدني ليش ماتكتب فيها .

- ماعندي شهادة الثانوية..... لم اكمل الثانوية .

- الظاهر انهم يقبلون معيد الثانوية .

- انا معيد في الثانوية..... تعرف احد هناك ...؟

- نعم لي صديق ...اذا رحت له سوف يساعدك .

- وبعد الدورة ...؟

- تتخرج برتبه وكيل رقيب وراتبها طيب .

- كنت اريدك ان تبحث لي هذا الأمر قبل اليوم لكن ......

- لكن ماذا ..؟

- العمل في الفندق وقد تقول انك تريد ان تتركني وحدي .

- لا ... ابداً.... ثم انك ستكون هنا في عملك بعد الدوام ..انت ستبقى المسئول عن الفندق بعد الدوام وانا ارتاح لبقائك معي .

- اذا توكل على الله وهذه خدمة لن انساها .

- بكرة تروح للنقيب اسماعيل وانا اكلمه في التلفون وسوف ينهي كل شي من عنده .

- باذن الله .....

وفي اليوم التالي ذهبت الى ادارة الدفاع المدني وقابلت النقيب اسماعيل ابو حسن وكان قد اتصل به مازن ولم اخرج من عنده حتى انتهى موضوعي وطلب مني ان التحق بمركز التدريب بعد اسبوع .

كانت الدراسة والتمارين والأوامر العسكريه صعبة على شاب مثلي عاش في كنف والدته ...التي لم تكلفه بأي عمل شاق منذ ولادته..... لكنني عقدت العزم على انني اتحمل واصبر

فلم يكن لي خيار آخر.... وكان النقيب اسماعيل هو مصدر تعبي ....فهو لا يراني في أي مكان الا ويطلب مني الهرولة ....حتى غديت اكرهه واكرهه اليوم الذي وصلت اليه ،

كان يطلب مني في طابور الصباح ان اكون امامه حتى يتأكد من ادائي للتمارين العسكرية كاملة.... وإذا تخلفت في الحضور او اخطأت في التمارين كان يومي ذلك كله هرولة....... حتى اخر النهــار ومضت الدورة وتخرجت برتبة وكيل رقيب في الدفاع المدني .

طلبني النقيب اسماعيل في مكتبه وهممت ان اهرب من الدفاع المدني بكامله خوفا من النقيب اسماعيل ......الا انه تغير معي بدرجة كبيرة وأحسست ان قسوته تلك كانت لمصلحتي ....اما بعد ان بدأت العمل معه في القسم الذي يديره فقد كان اخا وصديقا وارتحت للعمل معه .

وضعوني في فرقة يرأسها النقيب اسماعيل اسمها فرقة الطواري ....وكنت انا والزملاء معي في هذه الفرقة من اكثر الافراد حظا..... فلم يكن هناك بحمد الله كوارث او مشاغل... لذلك فنحن بعيدين عن الجمهور وعندما اقترب موسم الحج تم ارسال فرقتنا كاملة الى الحج....

كان مازن هو من يشرف على فردوس اثناء دورتي في الدفاع المدني وبعد تخرجي كان مازن يريدها للزواج في اقرب فرصة الا انها كانت فردوس تستبطيه من وقت لآخر حتى تم الأتفاق على الزواج في نهاية شهر الحج أي بعد عودتي من انتداب الحج ...

(١٥)

كنت في منى صبيحة يوم الثامن من ذي الحجة ١٤٣٠ هجرية وكنت مع احد الزملاء في جولة تفتيشية على بعض مخيمات الحجاج لنتأكد من امور السلامة داخل المخيمات ....فجأة ....وصالت الينا اشارة بالعودة الى المخيم فوراً.......كان المطر يهطل في منى بغـــزارة لكن كل شيء كان على مايرام.....

كنت اعتقد ان هناك امر يستدعي الذهاب الى الجمرات لفك الإختناقات او ان الأمطار قد تسببت مشاكل في اسلاك الكهرباء او اخماد حريق ..غير ان الأمر كان يطلب من الفرقة جميعها التي اتت من جدة العودة الى جدة حالاً.. وفعلا تم سحب الفرقة من الحج وغادرنا الى جدة .. وفي اثناء الطريق كانت التلفونات تنقل الينا اخبار الفاجعة .. الشيء الذي فهمناه قبل ان نصل الى جدة .... (ان الأمطار والسيول المنقولة من خارج جدة قد تسببت في تكوين بحيرة كبرى في الخط السريع شرق الجامعة وأن هذه البحيرة قد ابتلعت عدداً كبيراً من السيارات بركابها وأن امامنا كارثة كبرى بالإضافة الى حوادث مشابهة في اماكن اخرى في مدينة جدة ..

وصلنا الى طرف البحيرة ..لم يكن معنا سوى نقالة المصابين او الجرحى التي لم يكن لها أي عمل في تلك الساعة فالمنكوبين قد ماتوا ونسأل الله لهم الرحمة وكل شيء قد انتهى ..

وصلنا لا ندري ماذا نفعل ..على حافة البحيرة الناس مثل السكارى .. هناك الذي يبكي والذي مبهوت .... شاب يضحك ضحكة هستيرية وامرأة تبكي .... وعجوز واقف لا تدري لماذا هو واقف .....عمال تركوا اعمالهم وهم وقوف وكأنهم يشـــــــهدون على الجريمة ... ..

كانت كل جدة تفوح برائحة الموت. حرارة الكارثة تمزق القلوب ..... كان الموت متعطش منذ فجر ذلك اليوم لإبتلاع تلك الأرواح التي ارجو الله ان يكتب لهم الشهادة ...... يسألني الناس وأنا لا اجيب فما ادري ماذا اقول ..

المكان يغطيه الهول الثقيل من رؤية الجثث.

الصمت افضل من الكلام..... الناس بين الجثث واكوام النفايات وكأن على رؤوسهم الطير.. خليط بشري، حول البحيرة من كل الجنسيات..

كانت الوجوه كالحة خائفة مهزومة .... آثار الهزيمة ظاهرة في ملامحها .

لقد التبست مدينة جدة الخوف و الوحشة .... الناس يهربون بسياراتهم في الأزقة الضيقة المتعرجة خوفاً من الغرق .. بل خوفاً من الموت الذي يطاردهم في كل مكان .

الأفواه صماء والعقول معلقة في العيون.... نظراتها خائفة وجلة .

وقتك يا جدة ظالم .... حظك سيئ .. اعطيت كلاً مايريده منك لكنهم بصقوا عليك جميعاً.. لتلاقي مصيرك المظلم وحدك ... التقم الطوفان اطرافك وبقيت تنزفين صامتة خجولة ...

عبث العابثون بكيانك ثم تركوك ملقاة على قفاك.... دون ان يمد يده احدهم لك لتنهضي من مخدعك او يزحزحك عن القذارة التي خلفها بعبثه ..او يحاول ان يغسل بيده او برجله بعض متاعبك...حتى وقعت الكارثة...

في اليوم التالي ..كان صباح المدينة صباحاً منهكاً كالحاً فالجثث لا زالت داخل البحيرة والمياة لم تنقطع روافدها .. حتى الشمس تحس انها مريضة وأشعتها مليئة بالحزن الذي ينبعث من الأرض فتعكسه بألوان دامية ..

امست جدة..جريحة حزينة في هذا اليوم الدامي الذي لم يحسب حسابه احد ..

في هذا الموقف رتابة ما بعدها رتابة.. وجمود رهيب في افئدة الموجودين حول

البحيرة ...

كان الليل في انتظار النهار ونحن افراد الدفاع المدني نحاول ان نسابق الزمن كي نستطيع اخراج السيارات المطمورة بمن فيها .. في الليل .... كان هناك من يركّب كشافات كبيرة ويسلط نورها على البحيرة لكي نواصل الليل بالنهار .... تنظر الى وحدات الدفاع المدني وتراهم وحدهم في الساحة وكأن الناس قد تخلوا جميعاً عن المسئولية وتركوهم وحدهم في هذه المعمعة وكأنهم هم اللذين تسببوا فيها ..

متاعب تجر الآلام...... والعذاب يسقي الموجودين كأساته المرة ... هناك عدد كبير من المتطوعين تدخلوا فيما بعد ..

وتمر الساعات ...وتعب اليوم.. ينسيني تعب الأمس...... الناس يبكون حتى الاغراب اللذين لا يمتّون للغرقى بصلة....

في البيت القريب من البحيرة لفت نظري هرولة الناس من حول البحيرة نحو ذلك البيت فذهبت معهم.. ارتفعت اصوات ساكنيه بالبكاء .. كلاً يبكي حتى المتفرجين يبكون . كل شيء يبكي ....يبكي حتى المتاع من جراء فقدهم ابناً صغيراً كان يلعب خارج البيت وعثر عليه في اليوم الثاني بعد انتزاع سيارة قريبة من البيت ..... نظرات اخوته الصغار حوله. مدمية .. كل منهم يريد ان يقبله ويشبع منه قبل ان تخرج جنازته.....ما أصعب تلك الساعة تفجرت عواطفنا الإنسانية كلنا .... حتى اللجنة التي اتت في تلك اللحظة لتسجل الحادثة ..اصبحنا نبكي معهم ...... لقد استخرج دموعنا ذلك الطفل الذي كان يبكي بدموعه ونظراته الينا بدون صوت .... كانت الدموع تتساقط من عيوننا جميعا دفعة واحدة....

كانت في البيت طفلة في الرابعة من عمرها تقريباً........ سألتنا بصوت اجش عند دخولنا الى بيتها قائلة :........

- اين خالد..؟
- اخي مات ؟
- انت تعرف خالد .... خلاص خالد ...مات ؟
- هل سيأتي ؟؟

نظر بعضنا الى بعض وأخذنا نبكي جميعاً ..

- ...... كلكم تبكون .... ابي يقول ان اخي لن يعود ..
- خالد في السماء ... ؟ ابي يقول انه سيبقى في السماء .. صحيح ياعم ..؟

خرجت اصواتنا عن السكينة. وتـــــبادلنا اصوات بكاء غريب ... كان ابوها يبكي ويضع الغترة على عينيه يمسح بها دموعه ...... دموعه تتساقط بغزارة وكأن صوته قد يبس في تلك اللحظة ويقلب نظره بيننا وبين تلك الطفلة ....

ودعنا تلك الطفلة وهي مبتسمة لكن قلوبنا تقطر دماً وكانت تلوح لنا بيدها الى ان غبنا عنها ..

مرت الساعات .وافراد الدفاع المدني والمتطوعون والفضوليون القادمون من اطراف المستنقع يتطلعون لمن يحمل نبأ العثور على ضحية وتهرع الناس لترى من الميت..... وتشرد الأطفال ثم يحمل الى سيارة اسعاف ويغيب الى الأبد..

اين كان ذلك المسكين ...؟... ومن اين اتى الى هذا القدر....؟

هل كان مسافراً ..؟....ام حاجاً ..؟....ام اتي ليقضي امراً من الأمور اليومية فاقتاده القدر الى هذه المصيدة...؟.. فالتـــقـــفه الموت لقمة سائغة في هذا

المستنقع .....؟ علمه عند الله ..

لن يعود الى بيته بعد اليوم ...... وإن كان هناك من ينتظره فأحسن الله عزاه ..... سيكون الغائب الى الابد وستطول غيبته عن اولاده وبناته وزوجته ..

نعم لقد ضاعت كل الأماني... هناك آخر في داخل سيارة مطمورة بين الماء والطين وقريباً منه سيارة اخرى بها ثلاثة غرقى وفرق الانقاذ تحاول سحب السيارة الى طرف المستنقع لإخراجهم من السيارة لكن اكوام السيارات المترادفة تعيق ذلك ....

اعترتني ملالة بلغت حد النزق............ يحدثني بعض المتفرجين فأردّ ....بكلمات مقتضبة....

أصبحت معزولاً..... لم تكن مشاركتي بعزيمة مني ....لقد مات فيّ كل شيء فالأموات لا يحتاجون انقاذ احسست انني في واد والموقف كله في واد آخر!..

كارثة كبرى.. أن يصبح الإنسان مجرد صورة كرتونية .. التصقت بالموقع وكأنني انا المجرم الذي تسببت في كل هذه الكارثة ... كنت اناظر الموتى من قرب ..

احزنني جدا ذلك الشاب الذي استخرجته فرق الانقاذ من الطين كان نحيل الجسم متوسط القامة، كثيف الشعر.. التصق الطين بذلك الشعر المنسدل على وجهه..... هناك كدمات على وجهه وعلى ذراعه ربما من تلاطم السيارات ومن المؤكد انه حاول جاهد ان يخرج من تلك المصيدة التي قد احكمت عليه شراكها ..

كان في جيبه العلوي بعض الأوراق وكذلك نقود وقلم جديد.. وكان في الجيوب الأخرى محفظة وجوال رأيت الجندي يسلمها الى النقيب الذي كان بجانبه ...... في تلك اللحظة .. اقتربت منه......كانت اغلب الجثث رائحتها من

رائحة الوحل..... الا ذلك الشاب ... هممت ان اقبله بدلا عن امه او ابوه او ابنه الصغير ان كان له اطفال ..

اصبحت كأنني اعيش بين الأموات واصبح منظر الجثث طبيعي بالنسبة لي بعد ان كنت افزع من النظر اليها ... نعم لم يكن ذنبهم ان أرواحهم قد فارقت أجسادهم. فتعايشت معهم على انهم لا زالوا احياء ..

الناس المتواجدين حول المستنقع اسمعهم يشتمون كل شيء شتموا البلدية والمرور وادارة الطرق واصحاب المخططات التي منعت السيل ان يصل الى البحر وشتموا مصلحة الصرف الصحي والدفاع المدني والهلال الأحمر وكل من في البلد نالهم نصيب من تلك الشتيمة .... نعم لقد شتمونا ونحن نستمع اليهم لكن لا احد يلوم احد في ذلك الموقف ..

وفي السماء كانت الغـــــيوم تتــــــجمع..

توقعت الموت ان يتساقط على المدينة من كل مكان ....

كنت ادعو الله ان لا ينزل المطر فالمدينة لم تعد تحتمل كارثة اخرى ......

هناك رجل عجوز منذ بداية الكارثة اراه جالساً على طرف المستـــــنقع يدخن سيـــكارة بعد اخرى .... حتى بدى فمه كأنه مدخنة و ينقل عينيه من واحد إلى آخر......... كنت أحاول ان اعرف ما يبحث عنه او اقرأ التـــعابـــير في وجهه فلم افلح ... صار وجهه شاحبا مطوياً على دلالات مجهولة .

وهناك كثير من المغامرين يذهبون هنا وهناك ثم يبدأ الصياح والصراخ ويندفع الناس الى مكان الصوت ... بعد ان عثر على جثة....

افراد الدفاع المدني ارهقنا التعب لذلك ترك القادة لكل من لديه الحماس في مساعدتنا .... فنحن نستحق المساعدة ... والناس يسبقونا الى حمل الجثث والوصول بها الى سيارة الاسعاف ..

كانت القلوب مجروحة وهناك بعض العائلات فقدت بعض افرادها لذلك لاتتصور الحزن الذي نجده امامنا....

طول ايام الكارثة كنا جميعا في حالة ارهاق شديد والذي يدخل منّا الى الخيمة لينام قليلا يرى عجبا ..... فالجنود والضباط يصل احدهم الى الفراش وقدماه لم تعد تحملاه من التعب لذلك فهو يلقي بجثته ولا يدري عن من حوله وتراهم في احوال وإشكال لو اطّلعت عليهم لوليّت منهم فراراً ولملئت منهم رعبا....

مهاجعهم متناثرة وفرشهم قد تحركت عن وضعها الطبيعي ولباسهم بعيداً عنهم ...او يحملون وسائدهم وبطانياتهم على صدورهم وليس منهم واحدا في وضع النوم الطبيعي ..

حولهم كراتين ممتلئة بالثياب والبدلات العسكرية وبطانيات ومخدات وأحـــــذية تتوزع في كل ارضية الخيمة ...

(اخبرني احد افراد لجنة التثمين انهم في بيت كل فقيد يذهبون اليه بمجرد وصولهم يثور صراخ وبكاء في الداخل و في الخارج .... كنا نعيدهم الى الكارثة من جديد عندما نطلب أي معلومات عنه ...

...كانت ام احد المتوفين تدعي على من كان السبب وكنا نأمّن جميعاً معها ... ربما كانت تظن اننا السبب في موته ....هكذا كنت اتوقع من كلامها لنا ونبرات صوتها .. لكننا لا نلومها .... لقد هجم السيل على المدينة هجمة العدو المتربص فعاث فساداً واغتال العابرين الأبرياء في ساعة غفلة ..

الى الديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

. فجأة ننسى الذي جئنا من اجله ويخيم الصمت نبكي مع الباكين ....الموقف محزن ويسود بعد ذلك الصمت المذعور في البيت كله ويخرج بعضنا الى خارج البيت يلتمس لنفسه عذراً يتأرجح في داخله من هول ما وجدناه عند اهل الفقيد .. تخرج من بين شفاه تلك المرأة كلمات مهترئة لا تريد ان نسألها عن شيئ ولا تريد هي ان تتكلم بشيء ....غسلها الحزن ..لكننا نريد ان نأخذ بعض المعلومات التي لا بد من الحصول عليها ..

تجمدت احزانها في العيون. انسحب إليها الألم وحرارة الفقد من جديد ....
(آه ... كم كنا قاسين) لقد جعلناها تجتر المعاناة بكل اوجاعها ومتاعبها .. (انتهى كلامه)

هذه جدة التي تسابق على عشقها الفقير والغني والتجار والسواح والشعراء والأدباء .....

كلهم اخذ منها ولم يعطها ما تستحق .. تركوا ثدياها مقظومتان بعدما رضعوا من خيرها وبحرها وشطآنها تنفسوا على كورنيشها الهواء والصفاء وطمروا همومهم في مياه بحرها الجميل وأنشدوا عليه اجمل القصائد.. لكنهم سئموا من الصفاء فسرقوا كل جميل فيها ..

تركوها تسيل منهما الدماء. حولوا شوارعها الى دمامل. حرقوا جسدها ببقايا السجائر. وحولوا جسدها الى مغتصبة لكل مَنْ يحلو . له العبث.

تركوك نشوى ماسقوك مدامة .... لما تمايل عطفك اتهموك

آه. يا اجمل عروس.. حولوا افراحك إلى مآتم، ورقصاتك الى عويل ..
الكهرباء مقطوعة من بداية الفاجعة . عيون الناس ممتلئة بالحزن..

لم يبق من جدة الا البحر ومياه البحر ليتني اخبر موج هذا البحر عن عروسه... وأنها غدت جرحا مفتوحاً ينزف دماً وصديداً !

اريد ان اخبره ان المدينة الجميلة غدت مكلومة ينفتح جرحها في كل لحظة.. . اريد ان اخبره ان الضحكات قد غابت من وجه مدينة جدة ... لقد ضاعت الابتسامة وسط الجثث المطمورة. تعلمنا من هذا الموقف ان البكاء حسنةٌ على الميت.. وقد يكون هذا البكاء يحمل اللامبالاة والسقوط وبلادة التفكير وضحك البلادة ايضاً....

كانت المرارة التي يتذوقها سكان جدة تترسب في القلوب والأفئدة .. ليت اللذين تسببوا في هذه الكارثة يشاهدون الموقف الذي رأيناه عندما كان النعش ممدداً بجانب المستنقع وكأنه ينادي على الموتى ..

كل ما تسير سيارة الإسعاف بجثمان الى المستشفى ينطلق خلفه سرب من السيارات للتأكد من هوية القتيل و يغادر من الحشد الكبير بعضه .... آه ياجدة ......لازالت السكين في الخاصرة.........والألم يسير نحو القلب ببطء وأنت صامته صابرة وحسبك انك لم تبخلي على ساكنيك بشيء فأسعدت البر والفاجر وحسبك ...

(١٦)

في اليوم الرابع من الفاجعة اتصل بي مازن وأخبرني انه لم يجد فردوس في الشقة وأنه بحث عنها حتى في البيت الشعبي فلم يجدها وأنه قلق عليها ويشك انها قد غرقت في السيول التي اجتاحت شرق جدة .. وسألته :

- هل كانت الشـــــقة مغـــــلقة ام مفتوحة .

- بل مغلقة....... وكذلك البيت الشعبي .انا كنت خارج المملكة ووصلت البارحة الى جدة وبعد وصولي كنت اتصل على تلفونها ولا ترد ثم جئت الآن ولم اجدها .

- وماذا تريد مني .

- ابحث في جثث الغرقى فقد تكون غرقت في الكارثة .

- لابد ان تكون انت موجود معي.. ولابد ان تقدم طلب بذلك .

- انت ابحث عنها وانا آجي فوراً .

- انا غير مسموح لي بدون امر ...لابد ان تكون انت موجود.

- انا ليس لي بها أي صفة قانونية الى الآن.... انا لم اعقد عليها حتى الآن ....

- وأنا كذلك .

- يا اخي انت مع زملائك ابحث عنها ....وهذا له علاقة بعملك. .

- لا استطيع......... كلم النقيب اسماعيل وأطلب منه ان يرسلني الى المستشفى حتى ابحث بين الجثث.

- وهو كذلك .

وبعد فترة قصيرة استدعاني النقيب اسماعيل .

- تعال نروح انا وانت الى المستشفى لقد اتصل بي مازن وطلب مني ان اذهب انا وانت لكي تتعرف بين الجثث على الخدامة اللي عندهم . ... لقد فقدوها منذ بداية الكارثة ويقول انك تعرفها ...

- وهو كذلك .

- انت تعرفها ..؟.

- نعم اعرفها .

وذهبنا ودخلنا الى ادراج ثلاجة الموتى......... فلم تكن من ضمن الاموات اللذين بها ...وأعدنا فتح الادراج مرة اخرى فلم تكن بينهم .

ثم قال لي النقيب اسماعيل .:

- اكتبها في عداد المفقودين وانت تعرف اسمها .؟

- اسمها فردوس .

- فردوس ايش .؟

- مادري

- ماتدري كيف ؟.

- والله ما ادري ....هي شغالة في بيت مازن .

- اكتب عندك فردوس شغالة مازن ......عند مازن لها صورة .؟.

- ما ادري .

- اسأله ان كان عنده صورة......

- حاضر .

وتحول همي من تلك الساعة للبحث عنها ....وعدت الى البحيرة .

لم اكن اجهد نفسي من قبل... فتحولت الى شخص يبحث عن كنز .....وغديت مثل الكلب البوليسي ابحث بعيني وأشتم الروائح وركبت قارب من قوارب الدفاع المدني ولا اخرج من البحيرة..... ابحث في كل الجهات .... كل ساعة من جهة ...... لم يبق سيارة من السيارات التي بجانب البحيرة من التي استخرجناها ....لم ابحث فيها.....غادر اغلب الناس البحيرة...... الا انا ......وزملائي من افراد الدفاع المدني..... يتناوبون على

الاستراحة..... الا انا .....مضى لي يومين وانا على راس العمل...... بلّغت احد زملائي ان جارتنا في عداد المفقودين وجلس معي بعض الوقت ....ثم تعب وغادر الى المعسكر....... بقيت هناك حتى هدني التعب وغادرت الى المعسكر .... ايقنت انها قد ماتت .....وعندما وضعت راسي على الفراش نمت لمدة ٢٤ ساعة.... وكانوا زملائي يصلون اليّ وانا نايم .....فيعلمون انني مواصل لمدة يومين ويتركوني نائم ......كان زميلي قد اخبرهم .

عندما استيقضت وجدت ثلاثة من زملائي على باب المخيم وسالتهم :

- ما لقيتم شي .؟
- ابدا ..لم يبق في البحيرة احد..... لقد تم شفط الماء ولم يعد هناك احد .
- ربما يكون هناك من هو مطمور بالوحل تحت السيارات .
- لم نجد شيئا والزملاء هناك لازالوا يبحثون .....قد لا تكون غرقت .
- اين ذهبت اذاً ......؟
- لا ادري ربما تظهر اذا لم تكن غرقت .....ادع ربك انها ليست ضمن الغرقى ..
- اين نجدها .؟
- ربك وحده هو الذي يعلم .
- انا لله وانا اليه راجعون ...

غديت اتعاود عمارة الشقق المفروشه وكذلك شقتها التي استاجرتها لها والبيت الشعبي كل يوم مرتين وثلاث...... لعلي اجد أي خبر عنها او أي اثر يدل على اختفائها ....

احواض الريحان والورد الذي زرعته في حديقه البيت الشعبي تحتاج الى سقاية كنت اسقيه كل يوم......

طالت المدة ....

مضى اكثر من نصف شهر ولامن حس ولاخبر ارى انني اكلمها عندما اذهب الى تلك المزوعات واسقيها .

اين ذهبت...؟

غدت في عداد المفقودين ،،،،،،

- هل يعني ماتت ...؟ لا ادري....
- هل غرقت ....؟ لم نجدها في الغرقى ...
- هل هربت ....؟ ولماذا تهرب ....
- لماذا لا تشعرني ......ربما فقدت الامل من عندي ...

لادري ...لكنها في عداد المفقودين ......وفلوسها اللتي معي وباسمي.... اهي ..حيّة او ميتة... كنت اتصل بمازن اسال عنها..... الا انه اخيرا لم يبدي أي اهتمام باختفائها ....ربما كان هو سبب في اختفائها ....لكنه يقول انه كان خارج البلاد ....

- هل خطفها تجار المخدرات انتقاما منها عندما ابلغت عنهم ...
- هل الشرطه عندهم علم بذلك ؟ ......لابد ان اخبرهم........ لكن لابد ان اخبر مازن بذلك .. وهو بطريقته يخبرهم.........على الاقل لابد ان اخبر ضابط الامن في مكافحه المخدرات باختفائها فقد يساعدني ...هذا الامر يحتاج ان اخبر مازن اولاً فكلمته فطلب مني ان اتصل بهم .....

اتصـــلت بهم (ادارة مكافحة المخدرات) ....وطلبت مقابلته الظابط الذي كنا نقابله....... وسالته عنها وشرحت له الوضع......... لكنه اقنعني انه ليس لهم أي علم باختفائها......... ولايعلمون عن المكان الذي هي فيه........ زد عل ذلك انه اكد لي انهم لم يذكروا اسمها في المعاملة نهائيا ....انما كانت كل الارساليات بالشفرة ......ولم يطلّع على الاسم أي شخص.......... الافي اضيق نطاق عند تسليم

المبلغ....... وقال لي لقد تم تسليم المبلغ بأسمك انت......... اما هي فقد كانت المكاتبات بحروف هجائية لايمكن ان توصل اليها .

تمر الايام ثقيلة جداً....... وانا على هذا المنوال اذهب الى الشقة.... ثم الى الفندق او البيت الشعبي استنطق الجدران والحديقة والفراش...... اين ذهبت ...؟

لا ادري ..... لاادري..... كنت ابحث عنها وابكي بلا دموع ......نعم جفت المآقي وتحجرت المحاجر ....الله ما أصعب الفراق ....شعرت ان الكون كله يضيق والسأم يملا الارض ..... اكلني الندم .....وجرحي كل يوم تتسع مساحته ..اشعر ان جرحي هذا لن يطيب .....ولا يستطيع ان يداويه طبيب ......الا عودتها ......او اعرف اين اختفت وكنت اعتقد جازما ان هذا الغياب لم يكن برغبتها .

مضى شهر وانا ينتظر ليلي نهاري....... وانتظر فرج الله ان يرن جوالي ..

كنت اقول :

لعلها تتصل ......لم افقد الأمل بعد

...ان دخلت المكتب انتظر من يبشرني بوجود جثه او خبر عنها .....

شاهدوا زملائي حالتي النفسية فلم يعودوا يسالوني عنها

..اظلمت الدنيا في عيني كل شي اجده اشباح امامي ....اجد صورتها في كل مكان

...نسيت الفاجعة ونسيت جدة كلها ولم اعد افكر الا فيها ..

تارة اتخيل انها مخطوفة.... وانها لاتجد من ينجدها فاخرج الى الشارع انظر هنا وهناك .. ثم ارفع طرفي الى السماء ،

يارب ...لاتفجعني فيها .

يارب ..... ردها لي سالمة ..

كنت احس بالذنب لانني تركتها والتحقت بالوظيفة في الدفاع المدني ولو انني بقيت معها لما ضاعت مني ، لكنها قد رضيت ان تتزوج بمازن وهي التي قالت لي ذلك ....مضى شهر ونصف اقتنعت بضياعها مني وسلمت امري لله وذات ليلة رن جوالي ..

- الووو ....(يارب .....صوت فردوس).ياما انت كريم يارب ...

ياحي هالصوت... ياحي هالصوت ..

حي هالصوت كم لي ما سمعته وابيه اذكره ما نسيته في المساء والصباح

اشغلتني عيوني والمشـــاعر عليه في غيابه وقلبي لحظة ما استراح

الشـــــــــــــــاعرة ريـــــــــــم

- الو .... اين انت .. انت بخير ...

- انا بخير...... قابلني في البيت الشعبي .

- الآن ... وكانت الساعة الحادية عشرة ليلا .

- نعم الآن .

- حاضر ..انا الآن اذهب الى هناك .

وخرجت من المخيم وركبت سيارتي وذهبت الى البيت الشعبي وجدتها امامي ....دخلت مثل الاهبل اتفقدها ..

- انت بخير؟...... اين كنت ..؟

(اطالعها عن قرب ...الى اين ذهبت....؟......... كنت اظنك غرقت في البحيرة ثم بكيت........وجلست على عتبة الباب لم اتمالك نفسي).

- (اقتربت مني) انت تبكي عليّ ....ماذا اقول انا اذاً.

- لماذا فجعتني ....وتركتني بدون قلب ..لماذا؟ ..... هل تعمدت ذلك .؟..

- التفت اليها ....فاذا هي تبكي ايضا ولم ترد .

- انا اسألك ......؟.....هل تعمدت عذابي...؟..هل سائك مني شي حتى تتركيني هكذا .؟..

- (ثم التفتت الى وهي تبكي بحرقة.... انت الذي تركـــتني ...انت الذي ضيـــعتني ...ياويلك من الله ..

- انا ...؟

- نعم انت.......... الم تأت الى بمازن يخطبني وانت تعلم انني متعلقة بك...... وان صاحبك هذا حتى وان تزوجني فانها نزوة...... وهو متزوج ولديه عيال ......ولن يدوم زواجي منه اكثر من اشهر معلومات .

- لكنك وافقت ..

- امامه فقط ... وقد هربت لانني لا اريد ان ارتبط به ..

- يعني هربت .؟

- نعم هربت .

- وانت بخير .؟

- ها انا كما ترى...... بخير وبصحة جيدة لكني قلبي محروق ..

- محروق..؟

- نعم محروق ....محروق منك وعليك .

- انا الذي ليس قلبي فقط محروق....... لقد احترق كل شي في جسدي ......لااهجع في نوم......لاارتاح في جلسة .... لا اداوم الا ساعات قليلة... .كنت افكر ان عصابة المخدرات قد خطفتك انتقاما من البلاغ الذي قدمناه فيهم......... او انك قد سحبك السيل الى مكان بعيد اخفاك عن كل الانظار ...

كنت آتي الى هنا.. اكلمك بيني وبين نفسي .....ثم ابكي ماشاء الله ثم اعود..... وانا اسحب قدماي لادري اين اذهب . كلما اويت الى فراشي اجد طيفك مختبئ في كل مكان من الشقة والغرفة والصالة ......وكأنه يناديني من كل ركن ....تارة اراه حزينا ....وتارة

صامتا ......وتارة يلوح بالوداع.... وكنت استشعر صورتك وصوتك في كل شئ .....حتى في شاشة التلفزيون ارى صورتك بين الوجوه التي تظهر عليها.

كان طيفك حلقة الوصل بين الماضي والمستقبل ....لا يذهب ولا يزول ....يسكن بين جفوني ليلاً ونهاراً ......ًنائما ًومستيقظاً..... وكنت احافظ عليه خوفاً من الوحدة والوحشة..... وكلما طال انتظاري لك زدت عليك الماً و لك اشتياقاً .

- لاتحاول ان تبرر ضياعك لي ....فانت كنت متردد . وأنت السبب....

كنت اظن انك ستقول لمازن أنني انا الذي سأتزوجها واننا متفـــقين على ذلك .

- لماذا لاتقوليه انت...... اذا كنت صادقة بحبك لي...

- انا اخطب فيك ... امّا امرك عجيب ..!

- على الأقل اتركي لي مجال .. قولي له سأفكر في الأمر ... لكنك قد وافقت عليه فوراً..

- سألتك وقتها ...كنت اريدك ان تقول لا ... اوتقول أي كلمة تشعرني فيها بقيمتي عندك .....وحتى لو مجامله حتى يخرج من عندنا.ثم نتفاهم..

- من اجل ذلك هربت وحملتني الذنب وهمك الكبير........ يا ويلك من الله..

عز الله انك في عذابي تفننت خليتني بين الرجا والممات

- والآن ؟

- عليّ ان اصلح كل شيء ...فقط لا تتركيني مرة اخرى .

- يا الله خلينا نشوف ..

- انا الآن اجد في نفسي عزيمة تهد الجبال..

- سنرى ..
- سترين فعلاً..

وفي ذاك اليوم اتصلت بالسيد مازن وطلبت مقابلته ..

كان همي الكبير ان اقابل مازن وان اقول في وجهه اننا نريد ان نتزوج ....وانها لاتصلح له ......واخذت الافكار تذهب بي وتعود..... وانا اتصور تارة انه سيطردني من العمل في الشقق المفروشة (الفندق كما يسميه)..... وتارة اقول انه سينتقم من فردوس....... وفي اخر النهارقابلـــته واجتمعنا في الفندق وعندها سالني .:

- مالقيت لها خبر او اثر او اتصال .؟
- انا الآن اريد ان اسألك ...؟
- انا ما ادري عنها .
- انت السبب يااخ مازن ..
- انا .... ليش ؟
- كنت انا وهي نريد الزواج لكن ; انت قد دخلت بيننا بطريقة افقدتها الثقة ... بل افقدتها صوابها وربما انها قد هربت حتى لاتسبب لك احراج .
- لو كانت قالت ذلك ....او انت قلت لي لكان هذا الامر بسيط .
- يعني لو ظهرت اتزوجها وانت ماتزعل مني .
- ابدا . انا اتمنى لكم الخير...... فقط اعجبتني وكنت اريد ان اتزوجها مسيار فقط .
- اعتقد كان خوفها من ان زواجها منك قد لايدوم وهي مقطوعة كما تعرف .
- هي قالت لك ذلك ..؟
- ابداً مجرد توقع ..
- واذا تزوجتها انت ستبقى معك .
- الى الأبد .

- انت تحب .... تحبها يا سعود.....؟

- جداً.. ثم غلبتني العبرة وبكيت .

- .. ..لا تبكي يارجل هاتها ترجع .... وتزوجها بالرفاه والبنين أعتبر كل تكاليف الزواج والله على حسابي .

- صحيح ..(قلتـــــــها وانا أبكي).

- أي والله صحيح ...انت مثل اخي .

ولو كنت اعلم ان لك رغبـــة فيها ......والله ماقول لها كلـــمة من هذا القبيل ...

- ابشّرها ....

- انت تعرف مكانها اذاً .. وربما سويتم الخطة معاً .. وأنا آخر من يعلم .. يمكن حتى تخلصوا مني .. اليس كذلك ..؟

- والله ما رجعت الا البارحة وقد اعلمتني بما قلت لك ..

- خلاص يا سيدي بشّرها ....وبارك لها ..

الله ياسعود .... انا الذي ساذهب بكم الى القاضي وانا الذي سآتي بالشهود وكلماينقـــــص عليك عــــــندي ... توكل على الله ....وانا لا اقــف في طريق سعادتكم .. ابداً ..

وفي اليوم التالي ذهب معنا الى القاضي ومعنا شاهدين وهناك عقد القاضي بزواجنا وكانت الحفلة على حساب مازن وحضراغلب زملائنا في الادارة وتزوجنا ....

في اليوم التالي سألتها ....

- اين كنت خلال هذه الفترة .

- هل هذا يهمك .

- نعم يهمني كثيرا ... كل شي فيك وعنك يهمني جدا .

- باين ..!. حتى بالأمارة كنت تريد ان تزوجني مازن ... اليس كذلك .؟

- كنت احسبها رغبتك .
- انت ماتقــرأ في عيوني شئ .؟
- لا ...انا اشوف صورتي في عيونك فقط ... لا أفهم كثيرً في العيون انني استحي ان انظر الى عيونك ....اخجل فارد نظري.......... ما اقدر ....(مين يقوى النظر ..من ما يخشى الخطر)
- كنت في شقة مفروشة لكنهم لم يتلكأوا معي مثلك......... من اول ماطلبت شقة....... طلبوني اثبات وقلت لهم زوجي ممكن يحضر غداً.... وأعطوني شقة فوراً .
- الحمد الله .. الله يسرها .وكم الإجار .
- ارخص من عندك .
- لكنهم ليسوا في مستوى عمارتنا .
- هي عمارتكم انظف .
- هذا يكفي .

لقد اعطيت الرجل٥٠ ريال وسوى لي عقد الإيجار لمدة شهر بنفس الإيجار الشهري الذي كنت به عندكم ....وتصدق انه ماكتب اسمي ولاسألني عن شي ... اما انت..... سويت معاي تحقيق .. اعوذ بالله ....تقول في شرطة .

- اين المكان .؟
- ستعرفه عندما نذهب ناخذ بقية الاغراض.... لكنه ليس بعيداً منكم .
- ارتحت هناك .؟
- كان مشغول بالي عليك .
- لااعتقد ....لقد تعمدت عذابي .
- بيني وبينك ....نعم لقد تعمدت ذلك ....لكن الحمد الله هذا الامر جاب فايدة .
- قصدك اننا واجهنا مازن بالحقيقة ..؟.

- نعم كان ذهابك اليه ثم شرح الأمر له مفيد اً جداً ... لقداعتـــقتـنا من الهروب مرة اخرى .
- ماذا تقصدين ...؟
- كان في بالي آخذك ونهرب الى مكان لايوجد فيه من يسأل عنا.
- وعملي.
- ربما تجد عملا غيره .
- ياستي ....الله فرجها .
- على قولك .... الله فرجها.......
- بعد مانشف قلبي .
- تستاهل .
- الله يسامحك.
- كان لابد لك من صدمة ......تجعلك تفيـــق وتعرف مصلحتك .....وتعرف انني تعلـــقت بك بطريقه لاأستطيع ان اخرج منها.
- وانا كــــذلك والله .... لكنها والحمد لله ازمة وعدت .
- على قولك ....بس ان شاء الله انك ماتحتاج لواحدة ثانية .
- يا ويلك من الله ....والله ماعاد تحصليني الا في الطائف .
- تقصد ....؟
- نعم مستشفى الامراض النفسية ....وقد كدت انتـــقل اليه لو تاخــرت قليلا .... (باقياً بين عقلي والجنون شعرة .)
- تستاهل .
- ثم بعد ذلك......... الله يعينك .تذهبين بي لمن يعالجني او تتركيني مجنون عندك .
- عند ذلك ....احتفظ بك الى الأبد .

- فال الله ولا فــــــالك يابنت الناس .
- سلامتك ....انت كل شي والله في حياتي ...
- وانت كذلك . ارجوك لاتتركيني............ انا اشعر ان الحياه عادت اليّ الآن .....

ابوس راسك يازمن ماعاد فيــــــني للجراح

خلاص يكـــــفيني اسى .. ابوس راسك يازمن

الشاعر / مساعد الشمراني

- انت الذي لاتتركني ... احسست انك ضيعتني ياسعود.. ....وانت الان تريد ان تنقل الحق عليّ انا............ وانت المخطئ.
- اذا تريني انا المخطئ فانا المخطئ........ لك ماتريدين ..لكن اريدك ان تعلمي ان غيابك قد اربكني حتى الهاني عن كل شي ...

اريد ان اراك كل ساعة بل كل دقيقة اذا فارقتك اريد الرجوع اليك ...لم اشبع من كلامك ولا من النظر اليك.. تغيرت بمعرفتي لك انماط حياتي .....اصبحت انت مدار الفلك ومطلع الشمس وحروف وأرقام الجداول الفلكية وكل حرف من حروفك له ترجمة ولوغاريتمات خاصة ....

- منذ ان عرفتك طويت خوفي من كل شي وعقدت في ذهني عقدة المغامرة بكل ما تعنيه المغامرة من مخاطر فاتجهت اليك بقلب كالصخر لا اهاب ولا احسب أي حساب للنتائج التي قد تكون في نهاية المشوار .
- تلبسني حبك بعنف لكنني احبسه عندما اراك لكي لا تنفري من مقابلتي مرة اخرى ... احبك حبا خالط دمي ولحمي ولو قدرت ان أحجبك عن عيون الناس لفعلت..... ولو قدرت ان احبس صوتك لكي لا يسمعك غيري لفعلت .... ولك ان تعرفي.. انني ..
- احبك جدا ..

- واخاف عليك جدا....
- واحياناً اخاف منك جداً.....

لا اخفي عليك انني في نفس اللحظة التي كنت تجلسين فيها مع مازن في صالون الفندق احس ان شيئا مني قد سرق..... احسست بعدك بالندم وكأنني سأمشي بعدك في طريق بلا أمل..... بعد ذهـــابك غديت لي انت الحزن الذي احمله وامشي به ....وشعرت انني لن استطيع ان اكمل مشوار عمري... نعم اشعر انني بضياعك مني قد اصبحت بلا رفيق وبلا صديق ......وانني سأبقى وحيداً... وان الارض ومن عليها عاتبة عليّ..

كنت احس وانت معي ان الدنـــيا كلها ملكي .....وان قلبي يمتلئ بالاحلام والامال التي لايحدها لازمان ولامكان ...فلما فقدتك كنت كمن فقد سمعه وبصره فبقي لا يسمع ولا يرى .

عندما قابلتـــك اول مرّة كنت ذلك الشـــاب الوديع الذي لايريد ان يخطئ ويحسب لكل شيء الف حساب ...فلما دخلت حياتي اشعلت في جسمي حزمة من العنفوان والمغامرة..... واستسهلت كل الصعاب وربطت خوفي والقيته خلفي بعيداً لا انظر الا الى الأمام ....اشعلت في قلبي حباً لم اكن اعرفه من قبل... .....ولم اعد انظر الى شيء الاّ اليك ......اكتفيت بك عن كل الناس .....حتى امي واختي لم اعد اذهب اليهما الا قليلاً ...... احسست ان حياتي بدأت بمعرفتك فآنسنى قربي منك .....واستكملت سعادتي بالانصياع لرغباتك وارخيت سدولي حولك فشعرت بالرجولة..... وكان النظر اليك متعة اريدها ان تبقى .....واخاف ان ترحل او افقدها .....وعند هروبك فعلا ضاع مني كل شئ ...حتى قلبي كان معك........ اليس كذلك ....؟

عندما جئتني كنت كقطرة ندى طاحت من تخت زهرة فـتلقـــفتــك براحتي ومسحت بك وجهي ليبقى عبيرك يعطر انفاسي .....ثم تسري انسامه في شراييني حتى تصل الى

قلبي فتأوى اليه ......فاحس انها تثلج صدري ....وتشع منها راحة في كل جسمي ......ترتخي منها عضلاتي..... وتتخدّر منها اعصابي ....فكنت لك ســـــامعا مطيعا ابحث عن أي شــئ يرضيك فأسعى اليه .

- هذا انا ياعزيزتي ..فافعلي بي ما تشائين.. فما انا عندك وماذا تجدين نحوي انني اريد ان اعرف..

(وضعت كفاً على كف) ثم قالت :

- اما انا عندما انظر الى عينيك أجد فيها المأوى الذي اهرب اليه من جحيمي الذي اخرس لساني وعواطفي حينا من الدهر وأريد ان اصل اليك قبل ان تخطفني الاقدار وانا ذاهبة إليك ......لكنني اخاف من الزمن .... أخاف ان تضيعني مرّة اخرى .... لا ادري لماذا يتملكني هذا الشعور .. اشعر انك متردد وأنا اخاف من ترددك هذا ...... لكنني انا التي احببتك حباً يلفه الصدق في لفافة لازوردية يمتزج فيها الدفء والضباب لا ادري ايهما اصدّق .

اشعر ان قدري ساقني اليك بطريقة سريعة واني انحدر اليك وامشي هرولة ....لا ادري ما الذي انتابني حتى لا التفت الى جانبي الطريق.

خلال الفترة التي قضيتها معك احببتك ....واحس انك تراني بنفس العين التي اراك بها ....لذلك فانا لم اخاف من السير معك حتى لو كانت الطريق طويلة ....

اشعر انك قارب النجاة الذي صعدت على ظهره وسيبحر بي الى بر الامان واخاف ان يكون شعوري هذا مجرد سراب......

هذه انا...... البنت التي على غير هدى وضعت قلبها فوق قدميها وســـــارت اليك دون غيرك ....

وجدت نفسي وحيدة في مكان بعيد عن الناس ليلة القبض على فريد..... والوجل ياكل وجهي واطرافي لا انتظر الا الخوف من المجهول ولا ادري ما سيحمل لي .... فهربت وأتيت اليك ..... كيف ساقني القدر اليك....لا ادري....

جئت اليك أبحث لي عن هوية جديدة او عنوان ينتشلني من ما انا فيه ... جئت اليك اسير بقلب حافي وكبد مغسولة .....على أطراف لساني تذوب الكلمات قبل ان تخرج .. انهكتني رحلة العذاب التي تركتها تسحب اطراف فستاني من خلفي ومشيت لا ادري الى اين .. اريد ان اذهب الى أي مكان يأويني .. اريد ان ارسم لباقي حياتي صورا لم ارها من قبل .. قد تكون صوراً باهتة ....لكنني سوف الونها بالصبر والأمل وأطرزها ببعض خيوط الشمس حتى تكون صوراً جميلة ثم اعلقها في جدار عمري.........فأتيت اليك وأختارك قلبي دون غيرك من الناس ..لادري لماذا ..؟ لكنني اشـــعر انك قدري ..

لقد مددت اليك يدي وألبستك غطاء شـــعري وأوليـــتك ثقتي وقرأت لك هويتي ورســـمت امامك خارطة عمري لتنسج حولي عباءة تحميني فيها من غدر الأيام ووهج الشمس الحارقة .. لكن لماذا جاء بي القدر اليك ....؟ .... لا ادري .. قد يكون لحسن حظي او لحسن حظنا وكل خوفي ان تضيعني او تضيع مني ... وهذا الذي اخاف منه ..

احس معك انني بأمان والحياة احساس وشعور ..... اجد انني لا اخاف وأنت معي... كنت خائفة منك في بداية الأمر لكن كيف تبدد هذا الخوف بسرعة ..... لادري ... رغم انني لم استطيع ان افهمك كثير .. فتارة اجد فيك سذاجة الأطفال .. وتارة جنون المراهقة.. وتارة اناءة المفكرين وكبير السن الذي يحسن التدبير دائماً ... نعم ... اجدك ترسم على جدران عقلي صورا غير واضحة المعالم لكنني مرتاحة لذلك ... احيانا تدخلني في صراع مع نفسي .. فأقول ماذا يريد مني

......؟ ... وأقفز من فوق جدار هذا التفكير . فهذا الشيء الذي لا اعرفه ...وأترك الجواب للزمن فذاكرتي لا زالت تنزف وقسوة ايامي الماضية لازالت تمضغني وأخاف ان ايامي لا زالت حبلى .....وأن الدهر لم يعتقني بعد ..فلم ينتهي دفتر الماضي وصفحاته الملطخة بالألم التي لازالت خلفي مفتوحة ولم تقفل بعد .. وكل خوفي ان يأتي من يبحث عنها ويفتحها ثم يبحث عني حتى يعيدني اليها ..

لكنني كما قلت لك مشيت اليك دون غيرك من الناس ....وأحببتك حب صاحب المال الحريص عليه من الضياع..

(ليالي في هواك اسهر وافكر ---- ومهما قلت لك في القلب اكثر.)

(اقول لك ايه وأيه يوصف هوايه ----- وانا ف قلبي كلام ما لوش نهاية)

(وأقول لك ايه ....) (عبد الفتاح مصطفى)

هجم حبك على كياني بقوة جيش لا يقاوم .....فاستقبلته وكأنني فريق كامل من النساء يتواثبن للسباق عليه.... وكلاً منهن تطلب رضاك .

كنت احيانا اجد فيك ملامح الغرباء وكنت اضيع في تصفح بعض المتاهات المتقاطعة في صفحات وجهك ...لا ادري كيف افسرها لكنني اخيرا اربطها ببعضها واسحبها حتى اصل بها الى عيوني التي تغرسها في حديقة قلبي فتملأ النفس بهجة والعيون راحة والقلب طمأنينة..

عندما انظر اليك اشعر انني اغتسل في عينيك من همومي ومن الماضي الذي اريد الهروب منه ....وأحسست في قربك بالأمان والدفء والسعادة ..

كنت اريدك ان تقرأ بختك وكفك وفنجانك في صفحات وجهي .

قدمت لك اوراق حياتي التي عشتها معك .... لتقرأها بعد غيبتي ....وانا اعلم انني كلما ابتعدت عنك اشتاق اليك اكثر رغم انني كنت اعرف مقدار المعاناة التي ستجدها بعدي ....الا انني اريد ان تكون حزمة اشواقي اليك اكبر .....وضغطت على قلبي ومشاعري ان تطول غربتي .....لكي تحس بفقدي ....وتعلم انك قد اخطأت في حقي ولعلـــك تكون قد وعيت الدرس وحفظته .

في غيابي كنت اتذكر ابتسامتك في نهاية العتاب عندما نتعاتب..... فتنسيني تلك الابتسامة كل شي .....وتأسرني بعفويتك ......حتى انسى نفسي واندم انني عاتبتك وانك لا تستحق مني ذلك العتاب فأطلبك السماح .....وكنت اعلم انك ستكون في اخر المشوار تنتظرني بتلك الأبتسامة التي ارى انها في حياتي الشمس والمطر .....وكنت انت صورة مشاعري الصادقة... التي اقرأها في وجهك..... ترسم حياتي بريشة نظراتك الروحية الآتية من اعماقك والتي لا أجد مكان اسكن فيه غيرها فاهدأ ....واسكن في امان .

معك اشعر انني شهرزاد... قد حملها شهريار الى مركب ارتفع شراعه ...وفي يدي بوصلة الرحلة..... وانت بمجدافك تصارع الموج وترفع الشراع وتسير به من بين المراكب الكثيرة من حولنا .....لنصل الى بر الامان قبل تلك المراكب التي تسير معنا .

تركت لك حرية ان تخربش على جدران قلبي صور طفولتك ومراهقتك وكنت احبس تلك الصور داخل قلبي وانـــــقلها الى خيـــالي واحدة تلو الاخرى واخــزّنها في خزانة الحفظ حتى لا تضيع مني .

ذكريات الايام التي عشتها معك احبها انها جميلة وكأن ذاكرتي لك فقط ... استودعت فيها كل شي عنك فكنت اقرأها كل ليلة في غيابي....بدأ من تحقيقك معي عند وصولي اليك ....وانتهاء بضياعك لي عندما وافقت ان تزوجني مازن . فهل ادركت الآن مقدار محبتي لك وكذلك حجم غلاك في قلبي ..

- نعم .. من القلب الى القلب رسول ..

(١٧)

بعد ان تزوجت امي بالحاج فخري وبعد ان وجدت نفسها متزوجه في بيت واحد هي واختي لؤلؤة استراحت اما انا فقد كنت متمردا عليها فلا ازورهما الا نادرا وبعد ان دخلت فردوس حياتي كنت انقطع عنهم كثيرا لكن امي كانت قد اطلقت لي العنان....... فهي تعلم انني اعمل مع مازن وترى ان مازن رجل عاقل وان وجودي معه يبعث على الاطمئنان .....وقبل زواجي من فردوس كنت آخذها اليهما على انها زميلتي في العمل...... وكانت امي تعلم انني احب هذه الفتاة .... لكنها لم تقل لي عنها أي شئ .... بل كانت امي ترتاح لفردوس عند ذهابي بها اليهما وتطلب مني ان اتي بها دائما . .....وعند زواجي بها كان السيد مازن قد طلب مني ان تخرج العروس من البيت الكبير بيت الحاج فخري وكانت امي سعيدة جدا تلك الليلة هي واختي...... وكان دورهن مزدوج فقد قمن بدور ام العروس وام العريس بعد ان شرحت لهما ان هذه البنت يتيمة قد تطلقت امها وهي صغيرة وعاشت في بيت ابوها عيشة قاسية وشئ من هذا الكلام ونسجت لها كلام من الخيال لادري كيف نسجت خيوطه وقد صدقوني في كل ماقلته رغم ان اغلبه بعيداً عن الواقع ....وحتى فردوس لاتعلم عنه .

(١٨)

قال لي مازن في يوم من الأيام:

- كم عندكم فلوس ؟

- يمكن نصف مليون .... لكن اغلبها فلوس فردوس .

- نريد ان نجعلها ضمان بنكي لما نخطط له ....نحن نخطط لفتح شركة مقاولات كبيرة وانت سوف تستلم كل شيء وأنا لدي زملاء وأصدقاء ومدراء ادارات سوف يساعدوننا في ترسية بعض المشاريع الحكومية على شركتنا ونحن بدورنا سيكون لنا مهندسين ومكتب ومحاسبين ......ونحن لا نقوم بالتـــنفيذ بل نقوم بترسيتها من الباطن على شركات منفذة وبذلك نكسب جميعا .

- هذه فكرة صائبة ..لكن .

- ليس هناك ..لكن ...الربح سيقسم علينا جميعا ....هناك بعض الموظفين او اللذين سنكلفهم بترسية هذه المشاريع عرضوا علي الفكرة......و هؤلاء يعطوا حصتهم قبل التقسيم .....وكل شئ سوف يكون حسابه دقيقا .نحن ثلاثة وأنت الرابع...

- ومن اين ستأتون بالمهندسين .؟

- نحن لن نستقدم احدا........سوف نستعين ببعض المكاتب الهندسية حتى لو اتفقنا معهم يداومون في المكتب لبعض الوقت بعد دوامهم ...هم سيكونون مراقبين للتنفيذ فقط .

- وأنا موافق اذا وافقت فردوس..... فهذه فلوسها ..

- عليك ان تقنعها ...

- لا اعتقد انها سترفض ..

- سيكون كل شيء بيدك وهي تثق فيك كثيراً

- سأكلمها في هذا الأمر وأرد عليك ..

- ونحن سنكون في القمة في فترة قصيرة .

- وما الذي يظمن في هذا الكلام .

- اذا لم تثق فينا فلا داعي ان تتعامل معنا...ان الموضوع ثقة فقط ...

- وماهو المطلوب اولاً..؟

- استقالتك من عملك .... ثم اكملوا اجراءات فتح الموسسة واشترك في الغرفة التجارية في الفئة الأولى ......

- لا مانع .

- والمشروعات جاهزة....

انا اعرف شخص مدير ادارة المشاريع في احدى الدوائر الحكومية لديه الخبرة وهو الذي سيكون الوسيط في تناول المشاريع وتسليمها الى متعهدي الباطن ولابد ان يكون كل شئ عن طريقه .

هو سياخذ فقط١٠/١٠٠ والباقي لكم الربع فقط ولنا ثلاثة ارباع..

- وأنا موافق.. لكن نحن نسترد الظمان من اول مبلغ نستلمه..

- لامانع ..... ويبقى الظمان للشركة .....

- نعم ......

- اذاً اتفقنا ...وعليك ان تنهي اجرآت استقالتك ثم تسجيل الموسسة ثم نبدأ في استلام العروض ومن ثم تقديم العطآت .

- احسب هذا الامر قد بدأ .

- ونحن جاهزون .

تم تقديم استقالتي من العمل ..... وبعد فترة تم افتتاح موسستنا على ما خططنا وكان مكتبنا عبارة عن شقة في احدى العمارات على شارع الستين وتم تجهيز مكاتبها ولكن بدون موظفين الا بعض المهندســين اللذين نطلب منهم التعاون معنا من مكاتب اخرى .

كانت المبالغ التي ندفعها للمهندسين المتعاونين معنا خلال فترات الدوام البسيطة التي يحضرون الينا فيها ....مجزية جدا.......... قد توازي رواتبهم التي يتقاضونها في شركاتهم الاصلية . خلال شهر ..

بدأنا في تقديم عروض المشاريع ورسى علينا اول مشروع بمبلغ ٢٦٢مليون ريال وبمساعدة مدير المشاريع وكذلك المهندسين المتعاونين معنا استطعنا ان ننقله الى شركه لتتـــــفيذ المشروع من الباطن بمبلغ ١٩٠ مليون ريال وكان جملة صافي ارباحنا من المشروع ٤٠ مليون بعد دفع اتعاب المهندسين ومن يحتاج الى دعم من قبلنا لانهاء التعاقد ودفع اجار الشقة لسنة قادمة ....وقد تم تصفية الحسابات وبدأت المشاريع تنهال على شركتنا واستطعنا في خلال سنة ونصف ان نرصد في حساباتنا البنكية اكثر من خمسة عشر مليون ريال ...

أصبحنا شركة عملاقة رغم ان مكاتبنا فاضية وأصبحت الشركات تخطب ودنا طمعاً في الحصول على عقود من الباطن وغديت من أصحاب رؤوس الأموال واشتريت بيت كبير وانتقلت فيه مع وزوجتي .واستمرت الحياة بيني وبين زوجتي من حسن الى أحسن ..وغدت المشاريع تنثر علينا خيراتها وملايينها ......وانهالت علينا من كل القطاعات بعد ان عرف المسؤلون بها الطريقة التي يتم دفع حصتهم من المبالغ التي نحصل عليها وأخذنا نوزع الهبات والهدايا الى كل مسئول نرى أننا سوف نحتاج الى توقيعه في يوم من الأيام .

كانت هدايانا عبارة عن أراضي وبيوت وسيارات فخمة.... كنا نقوم بإعطاء وعود بها قبل توقيع العقود ثم نقوم بتسليمها الى أصحاب الشأن بعد ذلك ....حتى وثق بنا الجميع وصارت أمورنا بخفية وسرية تامة وتوالت المكاسب والملايين ثم غدت المبالغ التي تصل الى المنفذين لاتزيد عن ٧٥ % واحيانا ٦٠ % اما الباقي فانه كان من نصيبنا ...وبذلك تعرفنا على اغلب اصحاب القرار اللذين اثروا هم ايضا بطريقة سهلة وسريعة .

(١٩)

وتمر الايام ونكسب كثيراً وتدور عجلة الزمان في اتجاه الثراء

لم ننجب اطفالا ..... بل انجبنا بدلا من ذلك اموالا طائلة ٠

طلبت مني فردوس ان يكون لها بطاقة خاصة بها فعملتها لها واصبحت لها هوية خاصة ......وأقتسمنا المال الذي كان بأسمي بواقع الربع لها وثلاثة ارباع لي انا بحكم انني انا الذي اشتغل ....وفتحت حساب خاص بها ٠ووضعت فلوسها في اكثر من بنك ......

لا زالت الشقة التي استأجرناها بأثاثها الفاخر بأسمي..... وتم نقل ملكية البيت الشعبي بأسمها ....وبعد ان استراحت غدت فردوس جميـــــلة جداوبانت عليها النعمة والراحة النفسية ٠وتم احضار سائق وخادمة الى بيتنا ٠٠٠

انشغلت انا بالصفقات وحضور اجتماعات مع المهندسين وكذلك مع شركاؤنا في العمل..... اما فردوس فقد أوكلت اليها كل ما يتعلق بالبيت ....

كثرت اموالنا وكنت اذا تم استلام دفعات من المشاريع او مستخلصات مالية اقوم بقسمة المبلغ بين حسابي وحسابها في البنك ...

(٢٠)

وصلت بذلك الى درجة الثراء..... فقمت بزيارة خاطفة الى اخي في قرية الخضراء .....بعد قطيعة دامت اكثر من عشر سنوات ووجدته في حاله مادية طيبة لكنني كنت اريد ان يرى الناس في القريه الحالة المادية التي وصلت اليها • وأنني لست فاشلاً ....فقدمت له مبلغا من المال ....ورغم انه لم ياخذه مني .....الى انني وزعته بين اولاده.... وتسامحنا ....ولم اسافر من عنده الا ونحن في احسن حال...... وطلبت من اولاده زيارتي ان هم سافرو الى جدة •

بعد ذلك وفي يوم من الأيام جلست مع السائق .....وبطريقة عفوية سألته..:

- اين تذهب.. بفردوس•فقال:

- هي تذهب كثيراً الى كيلو ١٤ وهناك تنزل وتبقى فترة من الوقت ....ثم اعود بها الى البيت..

- (هي تدخل بيت شعبي انا اعرفه وتجلس هناك عند صديقتها بدرية) ..كل يوم •؟

- لا ••• يمكن بعد كل يومين •

- هل تعلم من تقابل هناك •..؟

- هناك عجوز تخرج معها • اذا انتهت الزيارة دائما •

- تعرف اسمها •

- لا ••• لكنني اعرف صورتها •

فعرفت انها العائله التي عاشت بجوارهم بيت زميلتها بدرية.......... ومضيت ولم اعر الموضوع اهتمام كبير .....وتركت لها حرية الذهاب اليهم وزيارتهم في اي وقت .

وتمر الايام.

و ذات يوم بعد عودتي من المكتب ليلاً... وجدتها منزعجة كثيراً.

- خيراً ان شاء الله .
- مصيبة .وحطت على راسي.
- أي مصيبة..
- خروج فريد من السجن ....
- طبيعي..اذا انتهت محكوميته سوف يخرج..
- انه يبحث عني .
- خلاص لا تذهبي الى كيلو ١٤ مرة اخرى.
- اخاف ان يصل الينا ..اخاف عليك انت ..
- تخافين عليّ من ايش .؟
- اخاف عليك منه..... اوانه يحرض عليك عصابة المخدرات .

عندما ذهبت الى بدرية .....جيرننا سابقاً......اخبروني انه خرج من السجن وانه يبحث عني ...

- هذه حلها بسيط ..الزمي البيت وغيري شرائح جوالاتك....... وعند ذلك سينتهي كل شي.... اما اذا اعطيت هؤلاء الناس عنوان البيت او ارقام تلفوناتنا فهم على كل حال سيصلون الينا..
- ما كنت اعلم انه سيخرج ثم يبحث عني . اخشى ان يعود يطلبني في الفلوس ..

- اذا طلب فيها نعطيه .. نريد ان نبري ذمتنا على كل حال ..
- ثم ٠نبيـــع بيتـــنا ونشتري غيره ..
- اذا اعطيناه فلوسه فلن يبقى له عندنا شيء ٠٠٠ سامحك الله ..أنت التي تسببت في ذلك بذهابك الى جيرانك..
- بل ذهابي هو الذي اخبرنا بخروجه لعلنا نحتاط منه ونكون في حذر ..
- كما ترين .. لكن جيرانك يعرفون البيت ..؟
- لا ٠٠٠ ٠بل يعوفون الشقة...
- نخرج من الشقة ...
- واذا بحثوا في الشقة عن اسم المستاجر الذي خرج ثم عرفوا اسمك ٠٠
- انت لا تسمّين المولود قبل ولادته... ثم انه سيطلب الفلوس ونحن سنعطيه الفلوس و سنسلّم الشقة لصاحب العمارة ثم بعد ذلك ننتظر ٠
- انني خائفة..
- هذه نتيجة زيارتك لتلك الحارة والله ٠الله لا يذكرها بخير..
- اذهب الى العمارة غدا... ثم اخرج جميع الاثاث الذي بها وسلمها الى صاحبها ٠
- وهل تعتقدين ان اهل البيت الذين زرتيهم سوف يخبرون عنك...؟
- لا ادري ..
- اتصلي بهم وحذريهم من ذلك ٠
- هم قالو انهم لن يخبروه بشي ٠٠٠٠لكنني خائفة.... قد يهددهم.
- هل علم انك تزورينهم ..؟
- لا ادري ..
- اسأليهم ....
- سوف اسألهم ..

- قومي الى النوم الآن.... ولكل حادث حديث ٠

- كيف تريدني ان انام ....

- سلمي الامر لله وكفى ..

وفي اليوم ٠٠تركت فردوس جوالاتها مفتوحه لكنها لا ترد عليها واشترت تلفونات بشرائح جديدة ...

وتمر الايام ٠٠ ونحن نتصفح يومياً الرسائل التي ترسلها صديقتها بدرية وبها الأخبار اليومية عن فريد وما ادرئك ما فريد واستطاع فريد ان يحصل على تلفونات فردوس ... وبدأ يرسل لها رسائل كثيرة متتالية ٠ كانت هذه الرسائل خليط من التهديد والوعيد ومن رسائل حب يذكره بحبه لها ويريدها ان تتطلق ثم تتزوجه .....وغدت هذه الرسائل مصدر قلق لفردوس ولي ايضا ..

تقول فردوس :

(كان في بيت جيرننا في كيلو ١٤ زميلتي بدرية وامها وكنت ادين لهم با الفضل بعد طلاق امي فكانت الحاجة ربيعة ٠تاتي الينا في البيت ولا تاتي الا ولي معها حاجة..... بسكوت ....او قطعة قماش .....او طعام من بيتهم.... وكنت اذا جعت او تضايقت اذهب اليها.... ولا اخرج من بيتها الا وأنا شبعانة.... علاوة على ذلك .....كان هناك علاقة ود ومحبة... بيني انا بدرية تفوق كل شي .....وعندما انعم الله عليّ كنت اعطي بدرية ... من فلوسي اكثر من ما تحتاج وأصبحت لا اسلو عنها... وهي كذلك .....ومن سوء حظي ٠ذات يوم.... انني عندما قمت بزيارتهم جاءت زوجة ابي وانا عندهم..... فقمت واختبأت في داخل البيت لكن يظهر انها حسّت بشي .....او عرفت شي لا ادري ٠لكنها بدأت. تشك انني اذهب اليهم ..ويظهر انها اخبرت اخوها بذلك ....)

تطور الموضوع في الرسائل التي تصل الى جوالات فردوس القديمة من بدرية تخبرها فيها ان بيتهم اصبح مراقب من فريد وأخته وأولادها ،ثم بعد ذلك اتى فريد وطلب من بدرية وأمها... تلفون فردوس وعنوانها .....الا أنهما انكرا معرفتهم بشيء ثم بعد ذلك ، اصبح يهددهم .. وكان احيانا يدخل الى بيتهم مثل المجنون ويقوم بعمل جولة تفتيش في البيت ثم يخرج ......وانتقل القلق الينا مرة اخرى ...

اقترحت بعد ذلك على فردوس ان تنتقل بدرية مع امها الى البيت الشعبي لتبتعد عن فريد وعائلته الا ان فريد قد حول طلباته بعد ذلك الى خطبة بدرية.... لكنها رفضت .. وقال لها ان ما ينقذها منه شيء سوى تدخلها لإرجاع فلوسه التي سرقتها فردوس وأنسجن من اجلها سنتين ..

كان فريد قد انكر كل ما نسب اليه من تهم وحيث انه لم يضبط بحوزته مخدرات فقد تم الأكتفاء بالمدة التي قضاها .... كما اشعروه انه سيبقى تحت المراقبة لمدة عام .....وفي حالة طلبه من ادارة مكافحة المخدرات فأن عليه الحضور فوراً ... كما تم اخذ التعهد عليه بعدم مغادرة جدة خلال عام من تاريخ الأفراج .....ووقع على ذلك ثم اخلي سبيله ...(هكذا اخبرنا بعد ذلك)..

طلبنا من بدرية ان تشعره ان فلوسه محفوظة لديها وأن اخلاصها له جعلها تحفظها له كل هذه المدة.. لكنها تريد ان يتم تسليمها له في ادارة الشرطة حتى لا ينكرها بعد ذلك .. فوافق ..

تم التنسيق مع احد الضباط اللذين اعرفهم وتقابلنا قي مكتب ذلك الضابط..

بهت فريد عندما رأى فردوس بهذه النعمة والجمال .. واستلم شيكاً بالمبلغ وبعد ذلك تبادلا عبارات السماح وتعرفت عليه واعطاني رقم تلفونه..

وانتهينا من مشكلة كبيرة كانت مصدر قلق كبير لنا ..لكنا طلبنا من الضابط ان يتركنا مع فريد بعض الوقت فوافق...

جلسنا جميعاً في الغرفة....... لم تنزل عينا فريد عن فردوس فكانت غير متحجبة عنه ....وعندما خرج الضابط بدأت فردوس تهنئ فريد بطريقة المحب المشتاق بخروجه من السجن ثم قالت :

- الحمد الله على سلامتك ولعلك اخذت من سجنك درس فالحياة دروس .
- ان شاء الله انني غير فريد الذي كان قبل السجن .
- انني اريد هنا ان اقول لك اما فلوسك فقد حافظت عليها مع هذا الرجل الطيب ....واما شرفي فقد حافظت عليه ....وانت تعرف فردوس ......وقد كانت الحكاية التي ابلغناها للبوليس لمجرد حيله احتال بها عليك حتى تطلقني ....فانا وجدت نفسي وحيدة....... وبيتنا او بيت اهلي لو عدت اليه لكان قد هجموا عليّ الناس اللذين تعرفهم ......ثم آذوني واخذوا الفلوس ....فانت تعرف اننا استلمناها في تلك الليلة وبيت اهلي معروف جدا ....فخفت ان اذهب اليهم ثم ياتون الينا وياخذوها بالقوة........ فلما وجدت نفسي كذلك .....كان لابد لي ان اتزوج بشرع الله واعيش في كنف هذا الرجل الطيب ....ولكن طبعا لاتحل علاقتنا بدون زواج ....حتى احفظ شرفي وشرف اهلي وشرفك وكان لابد لي من الطلاق .... وبعد طلاقي ..تزوجنا على سنة الله ورسوله وبذلك عشت حياتي بعيدة عن مشاكل العصابة ....وفي نفس الوقت حافظت على فلوسك وشرفي .

ثم انا لااستطيع ان اعيش في شقة بمفردي فلا بد من ان يكون لي رجل استظل في هيبته ....وبدون زواج لا أقبل ....وهو كذلك لايقبل........ فقد كان خوفه عليّ اكثر من نفسي.......... لذلك......... اريد ان اوضح لك الصورة

عن فردوس ان كانت قد ذهبت افكارك بعيداً...... ولو لم تسمع من الشرطة ذلك الكلام لم تطلقني ابدا .

- لانني اثق بك كثيراً .
- وانا كنت عند حسن ظنك وعند ثقتك ايضا ....الآن انا لا أحبك ولا أكرهك ....أكره فيك أعمالك التي أوصلتك الى السجن وفرقت بيننا ....وإلا.... فأنا فردوس التي عهدتها منذ الصبا .
- .....(كان يبكي) ...ثم قال . وهل ستتركيني ...؟
- انني على ذمة رجل وانا مرتاحه فلعل الله ان يرزقك بمن تسر خاطرك .
- ....(كان يبكي).
- هذا البكاء لم يعد ينفع لكن دعنا نبقى اصدقاء بعيدا عن المحرمات ومانهى الله عنه .
- لك هذا ..لم يعد لدي شي اقوله لكنك قد ازحت عن عيني غشاوة كنت اراك من خلفها ونزعت من قلبي غلاً كنت اكتنزه لك من كلام ذلك الضابط الذي فجعني فيك .
- قلت لك انا فردوس التي تعرف .
- اعرف والله انك اصيلة....... لكن الزمان هو الذي فرقنا .
- بل هي اعمالك ......وكم حذرتك منها ....لكنك الآن تقول انك قد تعلمت من ذلك درساً .....ولعلك قد تعود الى الصراط المستقيم .
- اعدك بذلك ....وهذا الرجل له مني جزيل الشكر والتقدير ...
- ارجوا ان تخبر اختك واولادها بذلك ....قد يكون الكلام الذي وصلك قد وصل اليهم ايضاً.
- هذا الامر ضروري وساحكي لهم كل ماقلت ......وانا متاكد انك صادقة

عاد فريد يطلب ايد بدرية بعد ذلك.... وقال لها انها تذكره بفردوس وأخذ يطلبها من امها في اليوم اكثر من مرة..... الأمر الذي جعلنا نطلب منها اذا كانت لا تريد الزواج منه ان تنتقل الى البيت الشعبي في حي قويزة.. فوافقت وانتقلت الى قويزة وبذلك اقتربت مناً بنصف المسافة تقريباً..

بدرية تلك البنـــــت التي عاشـــت في احدى محافظات مــكة الجـنوبية

(القنفذة) وبعد ان عمل والدها فترة من الزمن في سلاح الحدود انتقلت وظيفته الى جدة .

عاش والدهاالسيد حسين ابو سيد في كفاف من العيش منذ ان كان في القنفذه وكان من هواة الصيد فهو يمارس هوايته بعد ان ينتهي دوامه ....

.. لديه قارب صغير يذهب به الى البحر ويعود بكمية من الصيد يبيعها ويستفيد من ثمنها وعندما انتقل الى جدة اشترى بيت شعبي في كيلو ١٤ وسكن فيه بعائلته ..

كانت له اخت في القنفذه وقد اعطى اولاد اخته ذلك القارب ليتكسّبوا عليه الا انهم اخيرا انكروا منه القارب بعد ان كانوا يرسلون له في كل شهر مبلغا من المال من واقع عملهم على ذلك القارب ......فتركهم وهم تركوه وعندما توفى لم تخبرهم زوجته ربيعة حتى بموته.... وقالت ...:

هم قطعونا ونحن سيغنينا الله عنهم ....لذلك لاتجد لهم قريب يسال عنهم .... السيده ربيعة عجوز محترمة ومقدرة من كل الجيران ......فراتب زوجها التقاعدي تنفق منه على نفسها وابنتها وهذا يكفيها اما البيت فهو ملك لهما وعلى ذلك فهي في حال وسط وتقول دائما ان الله مغنيها ....اما بدرية فقد اكملت دراستها الثانوية ولم تذهب الى الجامعة فالذهاب يحتاج الى مصاريف نقل..... زد على ذلك خوف امها على

وحيدتها ......وتركتها بدون دراسة....... وهي في اسعد حال واهنا بال .....ولهن التقدير من كل جيرانهم فهم اهل واجب يعودون المريض ويصلون الجار ويمدون ايديهم لكلل محتاج ...

(٢١)

بعد انتقال بدرية ووالدتها الى البيت الشعبي في حي قويزة ببضعة شهور توفيت الحاجة ربيعة..... .. ثم اصبحت بدرية بعد ذلك مقطوعة من شجرة..

أقامت فردوس معها في البيت الشعبي خلال ايام العزاء ثم طلبت مني فردوس ان تنتقل بدرية معنا في البيت الكبير في طريق المدينة .. وفعلا انتقلت وتم تخصيص غرفة لها في البيت .. واستمر هذا الوضع فترة من الزمن ....

وبعد الفترة قالت لي فردوس :

- ان بدرية تتحرج عندما تكون انت في البيت وترى انها ثقيلة علينا
- طيب ... ايش تبغيني اسوي ..؟
- ابداً هي حا تعيش معنا زي اختك كذا حتى يجي نصـــيبها وتتزوج ..
- كيف زي اختي ..؟
- يعني ما تتغطى عنك ونكون اسرة واحدة .
- بس هي موافقة ؟ (كنت اتمنى ذلك)....
- نعم هي موافقة..
- اذاً لا حرج في ذلك ..

في اليوم التالي جلسنا على مائدة الغداء سوياً ..فردوس عن يميني وبدرية عن يساري .. كنت اختلس النظر اليها.. ..... انها والله جميلة جداً .. لماذا لا اتزوجها .. وتبقى عندنا في البيت على طول .. لكنني اخاف من فردوس فهي وأن كانت طيبة .. الا انها لن ترضى بذلك ... انا اعرفها ..

انني متردد ثم اقول لنفسي (ان ترددي في المرة السابقة كدت ان افقد به فردوس .. فلعلني تعلمت من ذلك درساً..)

..... نعم لا بد ان اخطبها ..... وأن اتزوجها.... لكن من من اخطبها .... . عندئذ لابد من اطلاع فردوس على كل شيء.. ان فردوس رغم مرور اكثر من سنة ونصف من زواجي منها لم تحمل ..... وقد تكون عقيماً فهي لم تنجب من زوجها فريد ايضاً ...... فلعل الله ان يرزقني من بدرية بأطفال.. ثم ان بدرية صديقتها ولن يكون هناك مشاكل .. نعم لابد ان اتزوجها .. وهذا جواب نهائي ..

تحولت بدرية بعد ذلك الى شغلي الشاغل وكنت اتعمد الجلوس معها والحديث اليها وكانت فردوس لا تتحرج في ذلك او تشك في علاقتنا .. (فيما كان يظهر لي).

وفي يوم من الأيام جلســت مع فردوس وأخذنا نتكلم عن بدرية ..:

- ارى ان صاحبتك هذه مبسوطة عندنا في البيت ..
- نعم .. الله يجزيك عنها خير الجزاء .
- الفضل لله ثم لك ..... انت صاحبة المبادرة ..
- هي الآن مقطوعة وليس لها الا الله ثم نحن..
- اليس لها اقارب ... اعمام .. او اخوال ..؟
- انقطعت عنهم منذ زمن ... ولم تعد تعرف مكان ســكنهم .. انها وحـيدة مسكينة ..
- انا عندي حل .. ان كان تقبلين به..!
- اقبله ان كان مفيداً..
- هو مفيد لنا ولها ... لكن ما ادري عن شعورك انت ..

- ليش انا ...؟ ... قصدك تتزوجها ..؟
- كيف عرفت ..؟
- انا والله ملاحظة نظراتك اليها منذ فترة ..
- صحيح ...؟
- أي والله ..
- انا اقول اتزوجها وتبقى معنا .. لكنني احترم قرارك قبل كل شيء ..
- كل امرأة لا تريد زوجها ان يتزوج عليها .. الا بدرية .. فأنا والله احبها وأتمنى لها السعادة اكثر من نفسي .. وأحب لك الخير انت ايضاً ......وأريدها لك فعلاً . وأنا موافقة .. وقد كـــنت اريد ان افاتحك بالموضوع انا ..
- يعني ما تزعلي ..؟
- لا .....والله انني احدث نفسي بهذا.. ثم انني لم انجب حتى الآن .. ولعلك تجد عندها الخلف الطيب ..
- هذا الكلام الذي كنت اريد ان اقوله لك ..
- يعني أخطبها لك ..؟
- سبحان الله ...! ..هل انت موافقة فعلاً..؟
- أي والله موافقة .. بل سأدفع مهرها من حسابي الخاص ..
- لا ....أما المهر شرعا فينبغي ان ادفعه انا .. لكن عليك الحفلة ولك ان تساعديها بما تقدري عليه فهي صاحبتك قبل كل شيء ..
- سيكون الباقي كله عليّ انا وأنت تعطيها المهر فقط ..
- وهو كذلك .

- سأشتري لكم الغرفة .. وكل ما تحتاجه الغرفة ...(.........) اختنق كلامها ثم قامت من عندي وهي تبكي..

لحقت بها وقلت ..:

- اذا كان هذا الأمر بدون رغبتك فأنا لا حاجة لي بها ..
- ابداً لكنني اذا تذكرت انك ستنام معها في غرفة نوم عاجلتني العبرة فبكيت...
- لم يحصل شيء الى الآن فنحن في مرحلة المشاورة وأذا كنت تريدين ان تعود الى البيت الشعبي ونرتب لها سائق وخادمة فأنا مستعد ..
- بل ننفذ ما اتفقنا عليه بدون زيادة او نقصان..
- كلام نهائي ..
- نعم كلام نهائي ..

وتكلمت فردوس مع بدرية ورغم تمنعها في بداية الأمر الا انه وتحت الحاح فردوس عليها وافقت وذهبنا الى المحكمة وكان القاضي هو الذي تولى العقد عليها على انها فتاة منقطعة وهو ولي امرها ..

وتمر الأيام .. وتعيش بدرية وفردوس مثل الأخوات .. لكنني كنت ارى غبار الغبن والشعور بالندم على فردووس رغم ان بدرية كانت مثل الخادمة معها ..

وبعد ان انجبت بدرية ولدين..... اتسع جسمها وتملت عظلاتها وتنعمت بكل انواع النعمة الجسمية والحسية واصبح اطفالها يملأون البيت..... بدأت فردوس تحس ان شيئا ينقصها في هذا البيت وانها غدت مجرد حاجة زايدة.. .

بدات فردوس تشعر بنقص رغم انها الآمرة الناهية في البيت.... لكن المرأة ترى ان عنوان عافيتها هي نعمة الانجاب .....ومهما تكن المرأة ذات جمال ومكانة ومنصب الا انه لاتكمل انوثتها الا بذلك ....وهي لم تنجب وغدت تحدث نفسها انها قد تكون عقيمة....... لكنها قد فحصت في اكثر من عيادة ومستشفى فكانت النتائج دائما ايجابية وانها مؤهلة في أي لحظة .

اخذت انفاسها تخنقها واخذت الوحدة تاكلها وتنهش في جسدها....... انها قدرة الله ....وكلما زادت في التفكير في هذا الامر كلما ابتعدت عن الانجاب وربما يكون خوفها والعامل النفسي الذي تعيش فيه هو الذي سبب لها هذه المشاكل .

اما بدرية فقد غدت مثل الفرس الجامحة ، ترفل في ثياب العافية وعنفوان الشباب على قامة متوسطة وصدر ممتلئ بالحيوية ونفس طيبة مرحة .

كنت احس ان فردوس تحدث نفسها احيانا .....وتلوم نفسها على تزويجي من هذه الفتاة ... لم تكن تحسب يوما من الايام انها ســـــتتقدمها وتملك كل شئ ....حتى انا ...ترى فردوس انني افضّل بدرية عليها .....وتقول انا اســـتاهل .....(انا اللي جبت الدب لا كرمي) (هذا المثل الشامي).

انجبت بدرية ولدين وامتلأ البيت بالفرحة لكن الفرحة لم تلبث ان سرقها الزمان في افضل ايام العمر ..

اختفت فردوس ..

قمت في الصباح فلم اجدها في فراشها .. ووجدت على السرير ورقة مكتوب بها ..

(كنت قد سجلتني في المرة الأولى في عداد المفقودين ... ارجو ان ابقى كذلك .. لا تنتظرني .... لن اعود .. ولا تبحث عني .. اعتبرني في عداد المفقودين .... ارجو لك ولبدرية السعادة .. لم ازعل من شيء لكنني لم اعد احتمل .. وكفى .. سأعود لكن ليس الآن .. وسوف اتصل بكم وأنقل لكم اخباري .. انا الآن ذاهبة لكنني لا ادري الى اين .. سنلتقي لكن ليس الآن كما قلت .... اشوفكم بعافية ....فردوس)..

وبعد مرور اكثر من اسبوع لم تهنأ بدرية بعد غياب فردوس فهي تعلم تماما ان سبب ذلك الغياب ...هو وجودها في داخل الدائرة التي كانت تغلق عليّ وعلى فردوس ... ثم انكسرت تلك الدائرة بدخولها في حياتنا ... وفقس في داخل تلك الدائرة اطفال ثم تكوّن بعد ذلك في الداخل اشكال هندسيه اخرى .

كانت تحس بذنب لم تقترفه..... لكنها قد ادخلت اليه بإلحاح من فردوس ...وكذلك انسياق الأقدار .....ذلك المسلسل الذي اوصلها اليّ وانجبت ولدين ......لو كانت تعلم ان إنجاب الاطفال قد يفرق بينها وبين صديقة عمرها لم تنجب... لكنها كانت تحسب ذلك رغبتها ....فلما انجبت ذهبت فردوس وتركتها ......هذا الذي لم تجد له تفسير .

كانت لا تصدق انني لا أعلم عنها ولا أعرف مكانها .....لكنها امرأة كتومة ولا تريد الإلحاح عليّ في طلب اطلاعها على كل اسراري ....فمنذ ان تزوجتني وهي تحسب انها فوق البيعة..... لذلك فهي تعلم ان ترتيبها في البيت تاتي في المرتبة (الثانية.)....وانها لولا ان الاقدار ساقتها اليّ لم أتزوجها ....ولولا موت والدتها لم أتزوجها .

وفي يوم من الايام ...وبعد سبوعين من غياب فردوس سالتني بدرية :

- الم تصلك رسالة من فردوس .؟

- انا الذي كنت اريد ان اسألك نفس السؤال .
- الا ترى انها في بيت اهلها .؟
- لا أعتقد ....لم تكن ترتاح لهم .
- اذا وافقتني الراي فإنني سأذهب الى بيتنا القديم واجلس هناك يوم او يومين ولابد ما احصل عن خبر عنها .
- ابداً...... انا ما عندي مانع .
- اذاً.... أوصلني هناك ...وأنا أحاول أن أبحث عن أي خبر في الحارة.... وأقف على الحقيقة اذا كانت رجعت الى الحارة..... لعلنا نرتاح على الاقل من الخوف عليها .
- غداً ....وسأكون معك في اليوم الأول لكي احضر لك كل ما تحتاجين انت والأولاد..... واسألي الجيران وحاولي مقابلة زوجة والدها ....فلابد ما تسألك عنها اذا لم تكن عندهم ....ودائما التلفون بيننا .
- وهو كذلك ....وذهبت بدرية الى بيتها في كيلو 14 وسكنت هناك .

وفي اليوم التالي وعندما خرج ابو يوسف (احد جيرانهم) سمع اصوات الأولاد في حديقة البيت فقرع الباب :

- فتحت بدرية الباب فاذا هي تعرفه ... مرحبا ...حياك الله يابو يوسف .
- انت رجعت هنا.؟
- نعم ....جئت لأجلس هنا بعض الوقت.
- وهؤلاء الاطفال..؟
- انهم اولادي .
- تزوجت.... اليس كذلك .؟
- نعم تزوجت ....وزوجي مسافر خارج المملكة.... وجئت ارتب بيتي .

- هل ستبقين هنا ..؟
- لا اعتقد .
- تريدين ان تبيعي البيت ؟.
- الآن...... ما عندي نية في ذلك .....عندك زبون .؟..
- انا با شتريه...... اذا كان تريدين البيع .
- لو فكرت في البيع ....فأنت أول من اقول له .
- طيب يا بنتي..... تحتاجين شئ ..؟.
- عساك سالم .....كل شئ عندي .
- لو احتجت شي... فأحنا اهلك .
- مافيك شك ... الله يوفقك .

ولم تمض اكثر من ساعة حتى زارتها ابنته وزميلتها سابقاً (صافية) وتحدثا كثيرا لكنها لم تذكر لها أي شئ عن فردوس .

وفي اليوم التالي ذهبت بدرية الى اليها ولم تزر غيرها من جيرانها السابقين... وتناول الحديث امور شتى لكنها في الاخير سالتها :

- كيف عائلة فردوس..؟
- فردوس عندهم وقد غيروا كثيرا من اثاث البيت ....يظهر ان زوجها كان غني جداً..... واشترت سيارة جديدة لآخوها .
- واين زوجها .؟
- تقول انها لم تعد ترغب في العودة اليه .
- لماذا ..؟
- لقد تزوج عليها ...وهي لا تريد ذلك .

- هل قابلتها .؟

- نعم كثير .

- وكيف حالها ؟.

- هي بخير يظهر.... انها تريد العودة الى فريد ....زوجها السابق .

- هو ...لم يتزوج ؟

- هو لا يريد سواها .

- وهي ......؟

- ربما انها لا تزال تحبه .

- يمكن كان هذا السبب الذي عادت الى اهلها من اجله .

- اعتقد.......... انك لو رايتهم لتأكدت ان هذا هو الواقع .

- كيف اراهم ...؟

- دائما بعد العصر يجلس معها في البلـــــــكونة ويبقـــيان الى اذان المغرب .

- وحدهم بس .؟

- نعم وحدهم ...اللللللله ......(ما الحب الا للحبيب الأول).

- اريد ان ارى ذلك الموقف .

- بعد العصر اطلع انا وانت فوق السطوح ثم تشوفينهم .

- خلاص بعد العصر اجيك ونشوفهم .

- تعالي وشوفي .

وشاهدة بدرية بعينها ذلك المنظر من بعيد... وتأكدت ان هروبها ليس من اجل إنجاب الأطفال .... بل من اجل فريد ... كانا يتناجيان ......ويضحكان...في جلسة تنبيء من يراهما انهما في سعادة غامرة .

وفي اليوم التالي طلبت مني ان اعيدها الى بيتها الكبير ....لكنها لم تذكر شئ عن ما رأت ولا ما سمعت... . انما اكتفت انها اخبرتني ان فردوس عند اهلها ....

اخذت فردوس ترسل بعد ذلك رسائل على جوالي وجوال بدرية ... اشعرتنا انها بخير وأنها تريد الطلاق .. .. وتقول انها في بيت ابوها وبين اخوتها ...... وأنها تريدنا ان نبقى جميعاً اصدقاء وأنها لم تعد تحتمل العيش معنا.. وتطلب السماح والمعذرة في خروجها من البيت ... وترى ان راحتها في الخروج من حياتنا نهائياً وتتوسل اليّ ان لا امانع في اعطائها حريتها والذهاب الى القاضي واثبات الطلاق هناك ...وهي ستزورنا ثم تأخذ ورقة الطلاق ......

ثم طلبت مني اخيراً ان لا اسألها عن السبب بعد ذلك ...... ثم قالت في بعض رسائلها انها.. ربما تعود بعد ذلك الى زوجها فريد....

لكنني على أي حال لازلت احبها ، ولا انسى انني عشت معها اجمل ايام شبابي وقد تعلمت منه الكثير والكثير .فقررت في نفسي ان لا ارد طلبها طالما كانت هذه رغبتها ....

لكنني عدت بعد ذلك أسال نفسي .....لماذا تريد العودة الى فريد ....وهي التي كانت تندب حظها عندما علمت بخروجه من السجن .... وعند ذلك اخذت اعيد حساباتي في هذه المرأة ، وقد اقتنعت اخيراً أنها جعلت مني قنطرة تجتاز من فوقها الى ما خططت اليه .

فهل انا ساذجاً الى هذا الحد ...

لقد جعلت مني حبيباً مغرماً ينصاع لرغباتها وعملت جاهدة بكل وسائل التودد والاغراء ان اكون الحبيب المطاوع حتى تنتهي محكومية زوجها المسجون فريد ثم تعود اليه .

وبدأت اراجع احداث المسلسل واقول ربما ان اختفائها في الفترة السابقة من اجل انها لا تريد الارتباط بغيره وقد كانت تخاف من مازن ان يبقى متمسكاً بها ... اما انا فهي تعلم تماماً انني لن ارفض لها طلباً في يوم من الأيام ...... وهي بعد طلاقها من فريد.... كان لابد ان تتزوج غيره قبل الرجوع اليه ..... نعم ..... كانت تقول انه كان يطلقها كثيراً...... فهل جعلت مني محللاً..... الله اعلم..

ثم لماذا اصرارها على زواجي من بدرية....... فهل كانت تريد فقط احلالها في مكانها حتى تضمن انني لا أمانع في طلاقها ان هي طلبت مني ذلك........وأن بدرية ستضل همزة الوصل بيني وبينها بعد طلاقها مني ..... هذا اقرب للواقع....... لقد خططت تخطيطاً محكماً ان صح ذلك ... ام ان هذه الامور فقط قد ساقتها الاقدار وان القدر هو الذي فرض علينا احداث هذا المســلسل .....وأن (القدر فوق الأسباب) ....لا ادري .

كانت تقول ربما انه يريدها ان تعود اليه ....هل كانت هي التي تريد العودة اليه ....ربما انها بدأت في ربط حقائبها من ذلك اليوم الذي قابلته في ادارة الشرطة......... ان الذي يسمع كلامها معه في غرفة الضابط عند تسليمه الفلوس .....يرى انها تحبه كثيرا وربما من تلك اللحظة..... بدأت في التخطيط للعودة اليه ...وهل موضوع الإنجاب هو السبب ....لكن ما لذي يدريني انها كانت تستعمل حبوب منع الحمل معي ايضاً... حتى لا تترك خلفها أي اثر يدل عليها .. او اطفال قد يقيدون حريتها....انا لا ادري... وربما تكون هذه الروابط لا تمتّ للواقع بصلة .

هل كانت تتصل بفريد بعد خروجه من السجن ام كانت تقابله دون علمي وقد اتفقا على كل شيء .... لا ادري ..

ولماذا لا تكون صادقة ، وانها فقط عندما رأت انها غير قادرة على الإنجاب وعلى اسعادي .. فضلت ان تنسحب من حياتي ولا تترك خلفها الا ذكرى جميلة تسعدها وكذلك تسعدني ان نحن تذكرناها بعد ذلك .....وعلى كل حال فمثلما قال طرفه بن العبد:

ســــــتبدي لك الأيام ما دمت جاهلا

ويأتـــــيك بالأخـــــبار من لم تزود

وستبقى صديقة مثلما اتفقنا عندما تقابلنا اول مرة .. لكنني اجد انها هي التي ستطلقني وقد اخذت ما تريد مني ثم هاهي ذاهبة ..... غير انني راض لتحقيق ما تريده مني ... فانا احبها على كل حال ... لكنني اشترطت خروجها نهائياً من الشركة فوافقت ...

قمت بتنفيذ رغبتها وطلقتها ...... فأنا احسست انها لم تعد لي وحدي منذ ان خرج فريد من السجن وأحسست انه اصبح يشاركني في قلبها ومشاعرها .. بعد ذلك زارتنا واعطيتها ورقة الطلاق ..... وطارت فردوس ... لكننا بقينا اصدقاء وتعرفت على زوجها وبقينا على طول حبايب ..

تتابعت اخبارها عن طريق الأتصال بالتلفون وكذاك الرسائل اشعرتنا انها تزوجت بعدما انتهت عدتها ..... ثم بعد ذلك اخبرتنا انها حامل...وأن فريد قد تغير ..وبعد فترة ارسلت لي رسالة طويلة في جوالي ......هي رسالة واحدة متصلة مكونة من عدة رسائل ....تقول :....

(لقد وصلت اليك امرأة بلا هوية .....تاهت في دروبي الفصول والشهور...... عصفت بأيام صباي رياح الخريف الجافة فنحتت من ضلوعي قفص الامومة الذي لم يظم احداً... الا انت ....فقد كنت الطفل الذي حملته في قلبي وغذيته من شراييني بالحب والمشاعر الصادقة .

لقد اقتنعت ان في يديك سلاسل ناعمة يمكن ان تربطني بها من يدي.. لكنني اجد نعومتها في قلبي...فربطت انا قلبي بيدي وسلمته لك طواعية ..

عشقت الطريق الذي رأيتك ترسمه لي فسرت فيه حافية القدمين دون ان اسألك الى اين ؟.... ولاادري اين ستكون نهاية الطريق ......غير انني مقتنعة انني اسير في الطريق الصحيح .

...اعذرني ياسيدي لقد غادرت سكني الذي اودعنا حبنا الكبير فيه.... هذا القصر الذي زرعنا جدرانه حباً وشوقاً واخلاصاً ووفاءً .

اعذرني انني اتركه الآن ....وذاهبة ارمم بقايا حب قديم قد تركته مقفولا في داخلي منذ سنوات لعلي اصلح منه مافسده الدهر .... اما انت فرغم حبي لك لكنني وجدت منك في نفسي بعد زواجك من بدرية طعون لا احتمل المزيد منها ... ربما انا التي غرست خناجرها لكنك قد اركيت عليها .حتى النصاب...وحتى لم اعد احتمل مزيد من الدماء التي نزفت كثيراً .....فحملتها ورحلت ....وعلى اطراف لساني اسأله كثيرة لا أجد لها اجوبة ....

احيانا ارسمك امامي تمثالاً..... والقي عليك اسألتي..... لكن هناك بقلبي من يدافع عنك...... ثم يرد اللوم عليّ انا ...واحتال من رد التهم... أعجز عن الجدل وارد طرفي خاسئا أمام اسمك او صورتك او تمثالك المنقوش في قلبي قبل خيالي .....ثم اعتذر

واستنجد بدموعي التي هي الملاذ الأخير ..التي تتدفق سريعاً....لتخفف بعض متاعب عيوني وألمها وحر السهر منها ...

اعطيتني كل شئ .

- نعم ....معك احسست انني امسكت خيوط الشمس لكنني بادلتك بذلك ان سلمتك قلبي وعقلي وثقتي ......كنت لي الشمس التي تنير الطريق وكنت لك الظل الوارف ونسمة الربيع الرطبة .

كنت اراك هويتي التي فقدتها عندما كنت ضائعة بين غبار متاعبي واحلام ايامي المتطايرة..... فاختبأت تحت عبائتك وكنت استدفي بها من الزمان واهله ....استسلمت في طاعتك بعفوية انسانة وجدت في قربك الدفئ بعد فصول كثيرة عبرتها في حياتي من البرد القارس والشتاء الحزين ....

كنت حريصة ان اجعلك تدور في فلكي عندما التقيت بك.........ومن حسن حظي انك كنت بعفوية القروي الذي اختلفت في نظره ابجديات الزمن ..فرقصت لنغمة الوتر الجديد عندما عزفته لك ..نعم.... اطربك لحن لم تسمعه من قبل ....فاكثرت من عزفي لك على ذلك اللحن ....حتى استطعت ان استولي عليك..........

كنت اصغر مني سناً........ لكنني عرفت كيف افتح لك ذراع السعادة حتى انسيتك فارق السن ....ثم عرفت انه قد ضاع بيننا بعد ذلك .

سمحت لك ان تسكنني فعشقت ذلك الساكن الجديد والبسته جفني........ جاهرت بعشقي لك في مناسبات كثيرة وكانت ردة فعلك اقوى من تعبيري .

لم اكن احســــــب في يوم من الايام انك ستكون سحابة صيف تستقطع من عمري بعض فصوله ثم ترحل .....

اعدتني الى المراهقة فراهقت معك مرة اخرى رغم انني قد تعديت تلك المرحلة........ واختصرت لك من عمري اكثر من عشر سنوات وتدنت بين يديك ثمار انوثتي......

دائما اسال نفسي .

- هل كنت خلال هذه الفترة في حلم ام هي حقيقة عشتها .
- هل حقيقة ان السعادة لاتدوم .....نعم لقد جربتها.
- لا اكذب ان قلت انني خايفة بعدك ....لكنني انا التي اخترت هذا الضياع ان كان هناك ضياع ....فلا تلمني فهو اهون علي من ان ابقى احترق في مكاني حتى تاكلني نار الغيرة والحسرة والألم .

لقد عشت اخيرا فترة من الفوضى التي تجذبني الى الجهات الاربع وانا لا املك من امري شئ بعد ان وجدت انك بدأت ان تهملني وتبعثرني بحركات أرادية أو لا أرادية ...

عشقت فيك ذلك الصمت الرقيق في رجولة شاب قد تخطى سنوات عمره الزمني الى مدارج الرجال الأوفياء الذين ترى في ملامحه اندفاع الشباب واناءة الكبار.... .واجدني الآن قد عدت الى عمري الحقيقي وأنني تعديت الخامسة والثلاثين ..نعم .. لقد اعارني الزمن تلك السنوات التي عشتها معك .. تلك الأيام التي كبّلنا فيها ايادي الزمن.. فمضى يحسب اعمار الآخرين وتركنا نلهو اياماً ســـعيدة لم تكن محسوبة لنا..وكأننا في غفلة عن الزمن وأهله ..

كنت ارى فيك حب لإستماع لإخباري وأرتشاف قصصي فتزداد تعبيراتي جمالاً وتناسقاً وأحب ان اسقيكها دائماً بعيني قبل لساني.. فأنا احبك كثيراً عندما تصغي اليّ بقلبك ومشاعرك.

البارحة .. اشتقت اليك فانسللت من سريرنا وخرجت الى الصالة ابحث في حقيبتي عن صورتك.. كان هاجس يخوفني انها ضاعت.. فأكون بذلك قد ضاع مني كل شيء .... لكنني وجدتها فلثمت الصورة ثم عدت الى فراشي....

اخبرك انني قد انتقلت الى البيت الشعبي في حي قويزة فزورونا ان كنتم لازلتم تذكرونا فنحن لن ننساكم ابداً..

اتوقع يجيـــيني يوم وانســـاك وان شاء الله اموت ولا يجـيني

الشاعر العراقي عبد الحسين الحلفي

كم كنت اتمنى ان يكون هذا الطفل الذي يختلج في احشائي من صلبك ليبقى حلقة الوصل التي لايفصل عراها لا الزمان ولا المكان ....ولكنها الاقدار ....وليس للإنسان ان يختار قدره ......ربما انني كنت خلال السنوات التي عشتها معك .اتكوّم لأن اكون انثى يانعة...... لأعود الى فريد اخيراً وانا مكتملة الأنوثة فحملت منه ..... او ان هذه ارادة الله .....ورغم كل شئ احس انني سعيدة جدا ....اشعر أنني بلغت المرحلة التي تحس كل امرأة فيها باكتمال سعادتها عندما تشعر انها ستكون اماً.

لن تصدق كم هو معجب بك فريد........ وكم يكنّ لك كل احترام وتقدير.... وانت والله جدير بذلك........ وعلى كل حال لاتنسى انني لازلت .(.......) واقدرك واحترمك بكل جارحة من جوارحي في عفة وطهارة البستنيها في يوم من الايام .....ولاتنسى ان قلبي سيضل مخدعك ولساني يلهج بذكرك وعيناي تطبق اجفانها على صورتك...... وعليك مني سلام تصبح جوارحي تنطق به وتمسي تزفه اليك مع غروب كل شمس ......فتناولها بيديك واسكب علي

راحتك قليلا من الماء ثم انضخ بها وجهك واغمض عليها اجفانك ياأغلى من اغمضت عيني على طيفه وصورته واسلم لفردوس الى الى الأبد.)

استمرت علاقتنا لكنها بدأت تـــفتر وتضعف حتى وصلتنا اخبار انهم قد باعوا البيت الشعبي وانتقلوا الى مكان آخر لانعرفة وأنقطعت اخبارهم بعد ذلك...

. وانتهت القصة ...

محمد عصبي الغامدي

3/8/1433 هجري

من مواليد قرية دارالجبل
ببني ظبيان بمنطقةالباحة عام
١٣٧٠هـ عمل معلما للمرحلة
الابتدائية من عام ١٣٨٧ هـ
إلى عام ١٣٩٥ هـ ثم انتقل
إلى العمل الاداري في
المؤسسة العامة للتعليم
الفني والتدريب المهني
حتى تقاعده عام ١٤٢٢ هـ
حصل على البكالوريوس
في العلوم الإدارية من جامعة
الملك سعود بالرياض
عام ١٣٩٩ هـ - ١٤٠٠ هـ

صدر للمؤلف

- كتاب بيت القصيد
- رواية رفعت يدي
- رواية يتيم في حياة ابي
- رواية الخوف الذي أبحث عنه
- رواية أثمر زرعي شوكاً
- رواية الأسوار
- رواية تاجر الأسهم
- رواية المرافعة
- رواية ثوب الخطيئة
- روية أخت عقاب